المراقب المحايد: "بحث في منطق الحكم الأخلاقي"

د. مصطفى عبد الرؤف راشد [1]

ملخص:

انبثق مفهوم المراقب المحايد في تاريخ الفكر الفلسفي بوصفه مصدرًا للحكم الأخلاقي لدى الفيلسوف الأسكتلندي "فرانسيس هاتشيسون"(١٦٩٤-١٧٤٦م) من خلال فكرته عن الاستحسان والاستهجان؛ فالموافقة على أفعال الآخرين أو رفضها تتوقف على استحساننا أو استهجاننا إياها، ثم تبعه بعد ذلك "ديفيد هيوم" (١٧١١-١٧٧٦م) بفكرته عن التعاطف.

غير أن هذا المفهوم لم ينضج بشكل دقيق، إلا على يد الفيلسوف الأسكتلندي وعالم الاقتصاد المشهور "آدم سميث"، حيث أعطى هذا المفهوم بعدًا آخر، وذلك بإضافته ثلاثة عناصر أساسية؛ هي: التعاطف، والخيال، والتماثل، ونص عليه بشكل صريح في كتابه "نظرية العواطف الأخلاقية" (١٧٥٩م)؛ بأكثر من صيغة، مثل: المشاهد المحايد، والمراقب غير المتدخل بشيء، والمشاهد المنتبه، والمراقب عديم الاهتمام.

ثم بدأ فلاسفة القرن العشرين الاهتمام بهذا المفهوم اهتمامًا واسعًا؛ ففي خمسينيات القرن العشرين نشر "رودريك فيرث" (١٩١٧-١٩٨٧م) مقالة مهمة جدًّا بعنوان: "مذهب الإطلاق الأخلاقي والمراقب المثالي" (١٩٥٢م)، بيَّن فيها دور المراقب المثالي في تحديد الأحكام الأخلاقية وخصائصه، وبعد نشر هذه المقالة، عكف الفلاسفة على تحليلها تحليلًا دقيقًا، ثم تلاها سيل من التعليقات النقدية للرد على أفكار "فيرث"، وقد ظهر هذا بشكل خاص عند "توماس كارسون" (١٩٥٠م-) في كتابه "الحالة الأخلاقية" (١٩٨٤م).

---

(١) مدرس القيم وفلسفة الأخلاق، كلية الآداب، جامعة سوهاج.

(ISSN : 2536 - 9555)

يتميز المراقب المحايد "المثالي" بعدة خصائص، من أهمها إنه: أ. كلي العلم. ب. كلي الإدراك. ج. عديم الاهتمام "اللامبالاة". د. متسق مع نفسه. هـ. عديم التأثر بالانفعالات والعواطف. و. حيادي. ز. إنسان طبيعي. وغيرها من الخصائص.

The Neutral Observer: "Study in the Logic of Moral Judgment"

Abstract

The concept of neutral observer in the history of philosophical thought emerged as a source of moral judgment in the philosophy of the Scottish philosopher Francis Hutcheson (1694-1746) through his idea of approbation and disapproval. For him, approving or disapproving people's actions depends on our approbation or disapproval of these actions. David Hume (1711-1776), following Hutcheson, introduced his idea of Sympathy. Moreover, this concept developed particularly in the philosophy of the Scottish philosopher Adam Smith and it was explicitly stated in his book "Theory of Moral Sentiments" (1759). Furthermore, he added three basic elements to the neutral observer: sentiment, imagination and similarity. Many contemporary philosophers began to pay attention to this concept in the fifties of the twentieth century. In 1952, Roderick Firth (1917-1987) published a very important article entitled "The Ethical Absolutism and the Ideal Observer", in which he talked about the roles and characteristics of the ideal observer. After the publication of this article, philosophers thoroughly analyzed the article in addition to a series of commentaries, articles and

writings that were introduced to respond to this article. Additionally, this was particularly evident in Thomas Carson's book "The Status of Morality". The "ideal" neutral observer has several important characteristics: omniscient, omni-percipient, disinterested, consistent, dispassionate, ...etc.

مقدمة:

انبثق مفهوم المراقب المحايد لأول مرة في تاريخ الفكر الفلسفي- بوصفه مصدرًا للحكم الأخلاقي- لدى الفيلسوف الاسكتلندي "فرانسيس هاتشيسون" "Francis Hutcheson" (١٦٩٤-١٧٤٦م) من خلال فكرته عن أحكام الاستحسان والاستهجان؛ فالموافقة على أفعال الآخرين أو رفضها تتوقف على استحساننا أو استهجاننا إياها، ثم تبعه بعد ذلك الفيلسوف الاسكتلندي "ديفيد هيوم" "David Hume" (١٧١١-١٧٧٦م) بفكرته عن التعاطف Sympathy أو المشاركة الوجدانية مع الآخرين؛ وهو عبارة عن ميل أو نزعة طبيعية في الإنسان؛ لمشاركة الآخرين أفراحهم وأحزانهم.

غير أن هذا المفهوم لم ينضج بشكل دقيق، إلا على يد الفيلسوف الأسكتلندي وعالم الاقتصاد المشهور "آدم سميث" "Adam Smith" (١٧٢٣-١٧٩٠م)؛ حيث أعطى هذا المفهوم بعدًا آخر، وذلك بإضافته ثلاثة عناصر أساسية؛ هي: التعاطف، والخيال، والتماثل، ونص على هذا المفهوم بشكل صريح -لأول مرة في تاريخ الفكر الفلسفي في كتابه "نظرية العواطف الأخلاقية" (١٧٥٩م)- بأكثر من صيغة، مثل: المشاهد المحايد Impartial Spectator، والمراقب غير المتدخل بشيء By-stander، والمشاهد المنتبه Attentive Spectator، والمراقب عديم الاهتمام Disinterested.

ثم بدأ فلاسفة القرن العشرين الاهتمام بهذا المفهوم اهتمامًا واسعًا؛ ففي خمسينيات القرن العشرين نشر "رودريك فيرث" "Roderick Firth" (١٩١٧-

(ISSN : 2536 - 9555)

١٩٨٧م) مقالة بعنوان: "مذهب الإطلاق الأخلاقي والمراقب المثالي" (١٩٥٢م)، بيَّن فيها دور المراقب المثالي في تحديد الأحكام الأخلاقية وخصائصه، وبعد نشر هذه المقالة، عكف الفلاسفة على دراستها وتحليلها تحليلًا دقيقًا، ثم تلاها سيل من التعليقات النقدية للرد على هذه المقالة، وقد ظهر هذا بشكل خاص عند الفيلسوف الأمريكي "توماس كارسون" "Thomas L. Carson" (١٩٥٠م–) في كتابه "الحالة الأخلاقية" الذي نشر في عام (١٩٨٤م).

ويتميز المراقب المحايد بعدة خصائص، من أهمها إنه: كلِّيُّ العلم Omniscient، مدرك لكل شيء Omni–percipient، عديم الاهتمام Disinterested، لا يتأثر بالانفعالات والعواطف Dispassionate، متسق مع نفسه "خاصية الاتساق" Consistent، إنسان طبيعي Normal Human، صوت الضمير Voice of Conscience، حيادي Neutral، مثالي Ideal، حكيم A judicious، وغيرها من الخصائص. وسنعرض بعضًا من هذه الخصائص في أثناء البحث، وبعضها الآخر سنتناوله بشيء من التفصيل في نهاية البحث.

وفيما يتعلق بإشكالية البحث، فإنها تتمثل في التطرق إلى الدور الأخلاقي للمراقب المحايد، وتسعى الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات الآتية: ماذا نعني بالمراقب المحايد؟ وما وظيفته؟ وما طبيعة المراقب المحايد؟ وما هي خصائصه؟ وهل هناك شخصية طبيعية يمكن أن تمتلك كل هذه الخصائص؟ وهل من الممكن وجود شخصية طبيعية مثالية ومحايدة؟ وهل نظرية المراقب المحايد موضوعية أم ذاتية؟

أمَّا عن المنهج المتبع في البحث، فسأعتمد على المنهج التحليلي النقدي، وكذلك المنهج المقارن لتوضيح الأفكار كلما سنحت الفرصة بذلك.

وتحقيقًا لأهداف البحث، فقد جاء البحث في مقدمة، وأربعة محاور وخاتمة، على النحو الآتي: المحور الأول يركز على تعريف المراقب المحايد ووظيفته بوصفه مصدرًا للحكم الأخلاقي، بينما يتضمن المحور الثاني نظرة تاريخية عن المراقب المحايد من خلال فلسفتي "هاتشيسون" و"هيوم"، أمَّا المحور الثالث ففيه عرض للمشاهد المحايد عند "سميث" بوصفه أول فيلسوف تناول المفهوم بشكل واضح، وفي المحور الأخير أتناول فيه خصائص المراقب المثالي عند "فيرث"، وأهم الانتقادات التي وجهها "كارسون" وآخرون.

المحور الأول

تعريف المراقب المحايد ووظيفته

المحايد هو الشخص الحيادي، أو المتوسط بين طرفين؛ فإذا اطلقنا هذا اللفظ على الأفراد دل على من يلتزم الموقف المتوسط بين طرفين متعارضين، ولا يميل إلى أحدهما دون الآخر، أمَّا إذا أطلقنا المحايد على الأشياء دل على ما لا يدخل في أحد فروع التصنيف الأساسية[٢].

أمَّا نظرية المراقب المحايد أو المثالي فهي نظرية تتعلق بتبرير الحكم الأخلاقي، ويقصد بها وجهة النظر التي ترى أن الأحكام الأخلاقية يمكن تبريرها من خلال اللجوء إلى ما يمكن أن يقرره مراقب مثالي أو مشاهد محايد في موقف ما[٣]؛ فالمراقب المحايد هو شخص لا ينحاز إلى أي طرف من أطراف الموقف أو ضده، بل يبقى منفصلًا انفصالًا تامًّا عن الحالة التي سيصدر الحكم عليها؛ حتى يكون حكمه محايدًا.

---

[٢]- صليبا، جميل: **المعجم الفلسفي**، جـ ٢، ط١، بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م، ص ٣٥١.

[3]- Honderich, Ted (Ed by): **The Oxford Companion to Philosophy**, 1st, New York: Oxford University Press Inc., 1995, p.388.

(ISSN : 2536 - 9555)

ويشير "فيرث" قائلًا في تعريفه للمراقب المحايد: "إنها نظرية تدافع وتؤكد أن صواب الفعل أو خطئه محدد من خلال رد فعل مراقب مثالي تجاه فعل ما، وهذا يعني أن الفعل [ص] هو فعل مسموح به أخلاقيًا، إذا استحسن مراقب مثالي هذا الفعل؛ وعلى النقيض، فإن الفعل [س] هو فعل جدير باللوم الأخلاقي، إذا استهجن مراقب مثالي هذا الفعل"(٤).

فالفعل طبقًا لهذا يكون صحيحًا، إذا تمت الموافقة عليه في ظل شروط مثالية معينة، هي شروط تشكل وجهة نظر أخلاقية. وهذا يعني أن النظرية الأخلاقية للمراقب المثالي أو المحايد تحافظ على الصيغة الشرطية التالية: يكون الفعل صحيحًا، إذا وافق عليه مراقب محايد، فإريك على حق، إذا وافق المراقب المحايد على فعل إريك(٥).

بمعنى آخر، كل العبارات الأخلاقية لها معنى العبارات المماثلة نفسها حول ردود أفعال المراقبين المثاليين أو المحايدين؛ فالفعل يكون صائبًا إذا وافق عليه مراقب محايد في كذا وكذا بشروط كذا وكذا، والفعل يكون خاطئًا إذا رفضه المراقب المثالي(٦). أي إن استجابة المراقب هي التي تحدد الحدود الأخلاقية، وحكم المراقب له الأولوية على حكم الفاعل فيما يتعلق بتصرفاته وأفعاله، ولكن

4- Firth, Roderick: **"Ethical Absolutism and Ideal Observer"**, Philosophy and Phenomenological Research, Brown University: Vol.12, No.3, Mar., 1952, pp.333-344.

5- Taliaferro, Charles: **"Relativising the Ideal Observer Theory"**, Philosophy and Phenomenological Research, Brown University: Vol.49, No.1, Sep., 1988, p.123.

6- Chiovoloni, Margaret: **Firth and Hill; Two Dispositional Ethical Theories**, Degree of Master, University of North Carolina, Chapel Hill: ProQuest, 2006, p.2.

الفعل الصحيح في هذه الحالة لا يُعْرَف من خلال العقل، بل عن طريق التأثيرات المباشرة(٧).

يشير "كارسون" أن "فيرث" يحلل معنى المفاهيم الأخلاقية من خلال فكرة المراقب المثالي؛ فهو يرى أن الحكم الأخلاقي من النوع [ص]؛ حيث إن [ص] مسند أخلاقيًا، كأن نقول مثلًا: [ص] خيرة أو [ص] سيئة، أو [ص] صائبة أو [ص] خاطئة، ولكي نصدر حكمًا أخلاقيًا ملائمًا حول صحة الأفعال أو خيريتها؛ فيجب أن يشعر كل المراقبين المثاليين المحايدين بالموافقة الأخلاقية على هذه الأفعال واستحسانها، ولإصدار حكم أخلاقي بخطأ الأفعال أو شريتها ينبغي أن يشعر كل المراقبين المثاليين المحايدين برفض هذه الأفعال واستهجانها(٨).

فالمراقبون المحايدون طبقًا لهذا سيفرضون على الجميع القبول بوجهة نظر واحدة، متمثلة في أحاسيس المراقب المحايد، وهذا يعني أنهم سيلتزمون بالاعتراف المبدئي، بكونهم يتوجهون في اختيارهم وتداولهم، حسب ميولات غيرية، تجعلهم يعتبرون أحاسيس الغير هي بالضرورة أحاسيسهم(٩). وبهذا المعنى يتحول المراقب من خلال حياده وانفتاحه الوجداني، إلى أداة لاختبار جميع الأحاسيس دون أي ميل مبدئي لاتجاه دون آخر(١٠).

7- Carrasco, Maria A: **"Hutcheson, Smith, and Utilitarianism"**, The Review of Metaphysics, Philosophy Education Society Inc.: Vol.64, No.3, March., 2011, pp.519-520.

8- Carson, L. Thomas: **The Status of Morality**, Philosophical Studies Series In Philosophy, Vol.31, 1st, Boston: D. Reidel Publishing Company, 1984, p.49.

٩- هاشمي، محمد: **نظرية العدالة عند جون رولز "نحو تعاقد اجتماعي مغاير"**، ط١، المغرب: دار توبقال، ٢٠١٤م، ص ١٣٧.

١٠- المرجع السابق، ص ١٣٦.

(ISSN : 2536 - 9555)

لا يتمتع المراقب المحايد بنظر الإله God's Eye، ولا معرفة تفوق معرفة الفرد نفسه، وأحكامه ليست أحكامًا أخلاقية كلية، بل هو تأمل ذاتي خيالي Imaginative Self–reflection حول معتقدات كائن ما، وهي جزء لا يتجزأ من المعتقدات الاجتماعية المتولدة ذاتيًا Inter–subjectively؛ فالمراقب المحايد هو مجرد وضع آخر يمكن من خلاله النظر في أفعالنا وتصرفاتنا... وهو الذي يحدد الحقيقة الأخلاقية لأشخاص مثلنا، وهذه الحقائق ليست معاني موضوعية أو ثابتة(١١).

ويؤدي المراقب المحايد دورًا أساسيًّا في التبادل العادي للحياة الأخلاقية، وهذا التبادل يتميز جزئيًّا بالتعاطف؛ فهو يجسد الفهم العاطفي في أفضل حالاته، وموقف رعاية الآخر، وفهم حقيقة الأمور والأسباب التي تصرف بها الأشخاص المعنيون على هذا النحو، وهذا التعاطف الودي هو جوهر الأخلاق والتواصل الاجتماعي؛ إنه يحملنا المسئولية المتبادلة تجاه بعضنا بعضًا، ويجمعنا على ممارسة الاستجابة والحكم الإدراكي، وهذا هو جوهر أي مجتمع معقول وأخلاقي(١٢).

ووفقا لهذا؛ فالمراقب المحايد هو الشخص الذي يمتلك مشاعر طبيعية تجاه إنسان طبيعي آخر، بحيث يستحسن أو يستهجن وفق تعاطفه مع مشاعر الفاعلين والأشخاص المتأثرين بالموقف الفعلي أو كراهيته إياها، والحياد عنده يعني فقط

11- Smith, Craig: **"Peer Review and the Development of the Impartial Spectator"**, Econ Journal Watch, Fraser Institute: Vol.13, No.2, May., 2016, pp.327-328.

12- L. Charles and Jr. Griswold: **Adam Smith and The Virtues of Enlightenment**, 1st, Cambridge: Cambridge University Press, 1999, p.144.

عدم وجود اهتمامات شخصية معينة، وإذا كان لابد؛ فينبغي أن يأخذ في الاعتبار كل مصالح الرجال المشتركين في الموقف واهتماماتهم(١٣).

المحور الثاني

نظرة تاريخية (هاتشيسون وهيوم)

ترتبط فكرة المراقب "المشاهد" المحايد ارتباطًا جوهريًّا بالفيلسوف الأسكتلندي "آدم سميث"؛ حيث تقوم دعائم فلسفته الأخلاقية على محورين أساسيين هما: التعاطف Sympathy والمشاهد المحايد Impartial Spectator، إلا أن هناك بعض الإرهاصات الأولية لهذه الفكرة نجدها عند الفيلسوفين الأسكتلنديين "فرانسيس هاتشيسون" و"ديفيد هيوم"، وسأعرض أهم أفكارهما باختصار قبل عرض فكرة "سميث"، وغيره من الفلاسفة.

يعد "هاتشيسون" أول فيلسوف يصر على وجود أحكام نزيهة Disinterested Judgments حول السمات الأخلاقية للأفعال، وكذلك دوافع أحكام نزيهة للقيام بهذه الأفعال أو الامتناع عنها. وأوضح أن حكم الاستحسان على تصرف شخص ما يمكن أن يكون نزيهًا تمامًا، ولا يتأثر بأية فكرة تفيد نفسه...، وأرجع شعور الاستحسان والموافقة إلى حاسة خلقية Moral Sense، وهي كما يفهمها شعور محايد بالموافقة على ما يثيره بشكل طبيعي، عندما نواجه دوافع نزيهة نحو الإحسان، وشعور مماثل بعدم الرضا واستهجان الدوافع ذات الميل المعارض للإحسان(١٤).

---

[13]- Nelson, William H: **Utilitarianism in Adam Smith's Theory of Moral Sentiments**, In: http://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.492.1426&rep=rep1&type=pdf, In: 2-9-2019, pp.27-28.

[14]- Raphael D. D: **The Impartial Spectator; Adam Smith's Moral Philosophy**, 1st, New York: Oxford University Press Inc., 2007, p.28.

(ISSN : 2536 - 9555)

يفرق "هاتشيسون" في تحقيقه بين الخيرية والشرية الأخلاقية، حيث يقول: "تشير كلمة الخيرية الأخلاقية إلى فكرتنا عن بعض نوعية الإدراك في الأفعال التي تؤدي إلى الاستحسان والحب تجاه الفاعل، بخلاف أولئك الذين يحصلون على ميزة من الفعل، بينما تدل الشَرِّيَّة الأخلاقية على فكرة الكيفية المعاكسة التي تثير فينا النفور والكراهية نحو الفاعل، حتى من الأشخاص غير المبالين Un– concerned في ميلهم الطبيعي(١٥).

ثم يوضح أن أي كيفية –يمكن أن نتصور أن تكون شريرة أخلاقيًا– تثير كراهيتنا تجاه الشخص الذي نلاحظ فيه ذلك، مثل: الخيانة، والقسوة، والجحود، حتى عندما لا تكون مؤذية لأنفسنا أو ضارة، وفي الوقت نفسه نشعر بالشفقة تجاه الأشخاص الذين يتعرضون لشرور طبيعية، مثل: الألم، والفقر، والجوع، والمرض، والموت، ونحن أنفسنا نعاني من إزعاج هذه الشرور الطبيعية للآخرين(١٦).

لذلك فإن إدراك الخير الأخلاقي والشر يختلف تمامًا عن إدراك الخيرات أو الميزات الطبيعية، ومن هذا خَلُصَ إلى أن مبدأ الاستحسان في الأحكام الأخلاقية ليس هو حب الذات فحسب، بل قوة متميزة للإدراك أو الشعور، حاسة عليا تسمى حاسة أخلاقية(١٧).

فعندما ندرك الفرق بين الحب والتقدير الأخلاقي الذي يثيره الإحسان تجاه الشخص الذي نلاحظه فيه، والخير الطبيعي الذي تثيره فقط الرغبة في التملك

15- Hutcheson, Francis: **An Inquiry into the Original of Our Ideas of Beauty and Virtue in Two Treatises**, Edited and Introduction: Wolfgang Leidhold, Indianapolis: Liberty Fund, Inc., 2004, p.85.

16- Ibid, pp.87-88.

17- Frankena, William: **"Hutcheson's Moral Sense Theory"**, Journal of the History of Ideas, University of Pennsylvania Press: Vol.16, No.3, Jun., 1955, p.358.

نحو موضوع الخير؛ فيجب أن يكون لدينا إدراكات أخرى للأفعال الأخلاقية، غير تلك الخاصة بالميزة، وتلك القوة التي تكسب هذه الإدراكات تسمى الحاسة الخلقية، وهي تحديد تصميم العقل لتلقي أي فكرة من وجود أي موضوع قد يحدث لنا، وهو مستقل عن إرادتنا(١٨).

هذه الحاسة هي ما ندرك بها الفضيلة، والرذيلة، أو الاستحسان، والاستهجان في الآخرين، فكما يبين أنه من السهل أن يكون لدينا حاسة سرية Secret Sense تحدد استحساننا للأفعال دون النظر إلى المصلحة الذاتية؛ ثم يوضح أن الاستحسان مؤسس على الإحسان، لأنه يسبب بعض الميل الحقيقي أو الظاهر إلى الخير العام؛ لأننا يجب ألا نتخيل أن هذا الحاسة يجب أن تعطينا دون ملاحظة أفكار عن أفعال معقدة أو عن ميولها الطبيعية نحو الخير أو الشر، إنها تحدد لنا فقط الموافقة على الإحسان كلما ظهر في أي فعل وأن نكره العكس(١٩).

يفهم "هاتشيسون" المحكمين أنهم أشخاص يتمتعون بالحكمة Wisdom دون أي ارتباط خاص بالجانبين، ولا يمكن أن يكسبوا أي شيء بقرار القضية لصالح أي من الطرفين؛ فهؤلاء الرجال لا يتأثرون بأية مصلحة، أو عاطفة، رغم أنهم ليسوا رجالًا أكثر حكمة ولا أفضل من الرجال المتنافسين، ومع ذلك سيدركون بسهولة ما هو عادل ومنصف. وفي النهاية فإن المشاهدين المنفصلين عن أدواتنا –ارتباطاتنا الجزئية المتحيزة– غالبًا ما يأخذون حرية التعبير عن مشاعرهم، ووضع سلوكه في مكان الفاعل(٢٠).

---

[18]- Hutcheson, Francis: **An Inquiry …,** Op.Cit, p.90,

[19]- Sprague, Elmer: **"Francis Hutcheson and the Moral Sense"**, The Journal of Philosophy, Journal of Philosophy, Inc.: Vol.51, No.24, Nov., 25, 1954, p.794.

[20]- Carrasco, Maria A: **"Hutcheson, Smith, and Utilitarianism"**, Op.Cit, p.523.

(ISSN : 2536 - 9555)

وبعبارة أخرى، عندما يتخلف الناس في أحكامهم الأخلاقية، يوصي "هاتشيسون" بتكرار المشاهدين الخارجيين الذين– بسبب موقعهم المتميز– قد يميزون ويحكمون على السلوك الأخلاقي المناسب، ومع ذلك فإن هؤلاء المشاهدين– الذين ستحدد مشاعرهم الأخلاقية في نهاية المطاف الفضائل والرذائل على عكس المشاهد الخيالي عند "سميث"– ليسوا سوى أشخاص عاديين في مكان مناسب(٢١).

أمَّا "هيوم" فيرى أن العقل لا أثر له في سلوك الإنسان، وإنما الأثر كله لمشاعر اللذة والألم الذيْنِ بهما يميز الخير عن الشر. وطبقًا لذلك فكل عمل فاضل وَخَيِّر يبعث في النفس الاستحسان، وكل عمل شرير أو سيئ يثير في النفس الاستهجان؛ ومن ثم يمكننا أن نحكم دائمًا على أفعالنا وأفعال الآخرين عن طريق غريزة أخلاقية هي غريزة المشاركة الوجدانية أو التعاطف، التي عن طريقها نشر بشعور الآخرين، ونحقق سعادتهم وسعادتنا(٢٢).

ولكن ماذا عساه يكون هذا المفهوم؟ يشير "هيوم" إلى أنه ليست هناك خاصية للطبيعة الإنسانية ملحوظة في ذاتها وفي نتائجها أكثر من الميل الذي يكون لدينا لأن نشارك الآخرين وجدانيًّا، وأن نستقبل ميولهم ومشاعرهم عن طريق التواصل، مهما كانت مختلفة ومناقضة لميولنا ومشاعرنا(٢٣).

ثم يوضح "هيوم" في "تحقيق في الطبيعة الإنسانية" كيفية عمل التعاطف؛ حيث يقول: "عندما أرى آثارًا في صوت إشارة وإيماءة أي شخص، ينتقل عقلي على الفور من هذه الآثار إلى أسبابها، ويشكل فكرة حيوية عن العاطفة، ويتم

---

[21]- Ibid, pp.523-524.

٢٢- شكري، فايزة أنور: **القيم الأخلاقية**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٨م، ص ١٦٧.

٢٣- أحمد، محمود سيد: **الأخلاق بين العقل والوجدان**، ط١، الكويت: أفاق للنشر والتوزيع، ٢٠١١م، ص ٥٥.

تحويله في الآن إلى العاطفة نفسها، وبالطريقة نفسها عندما أدرك أسباب أي مشاعر، فإن عقلي ينقل التأثيرات، ويتم دفعه بمشاعر مماثلة"(٢٤).

وهذا يعني أننا ننتقل بشكل استنتاجي من تأثيرات العاطفة إلى فكرة العاطفة التي تسببت فيها، ثم بطريقة ما، يتم إنتاج المشاعر نفسها فينا. كما يعبر "هيوم" فتُحوَّل أفكار الآخرين وعواطفهم إلى الانطباعات نفسها التي تمثلها، وتنشأ عواطف مطابقة Conformity للصور التي تشكلها(٢٥).

فنميل إلى إثارة العواطف التي تنتج تعبيرًا مطابقًا للوجه، ثم يؤدي السلوك إلى إحداث تغييرات في الحالة المزاجية والعاطفية، وهذا يؤدي إلى إحداث تغييرات فسيولوجية مشابهة لتلك التي عادة ما تصاحب العاطفة، وهذا ما يفسر أن من خلال تكرار تعبيرات الوجه تجاه الآخرين، نميل إلى جذب عواطفهم، وهذا يسمى بعملية "تعاطف الوجه" Facial Empathy(٢٦). وبمجرد أن يكون لدينا القدرة على فهرسة استجابتنا وإدماجها مع معلومات أخرى عن الشخص نفسه، يمكن أن يساعد تعاطف الوجه في تفسير سلوكه والتنبؤ به وشرحه(٢٧).

ويشير "هيوم" في "تحقيقه" أن التمايزات الأخلاقية Moral Distinctions تعتمد كليًا على بعض المشاعر الخاصة بالألم واللذة، دون النظر إلى الكيفية العقلية سواء في أنفسنا أو في الآخرين، فاللذة التي تعطينا شعورًا بالرضا هي

---

[24]- Hume, David: **A treatise of Human Nature**, Ed by: David Fate Norton and Mary J. Norton, Volume 1, 1st, Oxford: Clarendon Press, 2007, p.368.

[25]- Gordon, M. Robert: **"Sympathy, Simulation, and the Impartial Spectator"**, Ethics, The University of Chicago Press: Vol.105, No.4, Jul., 1995, p.727.

[26]- Ibid, p.729.

[27]- Ibid, 730.

(ISSN : 2536 - 9555)

فاضلة، والألم الذي يثير فينا شعورًا بعدم الارتياح، هو رذيلة[٢٨]؛ لأن كل المشاعر تنتقل بسهولة من شخص لآخر، وتنتج حركات متماثلة في جميع الكائنات البشرية[٢٩].

ويوضح أن الانطباعات المتميزة التي يُعرف بهما الخير والشر الأخلاقيان، ليست سوى آلام ومتع، ويترتب على هذا أن جميع الاستفسارات المتعلقة بالتمايزات الأخلاقية تؤدي إلى ظهور مبادئ تجعلنا نشعر بالرضا أو عدم الارتياح في أثناء فحص سلوك أية شخصية؛ من أجل التحقق من سبب كون هذه الشخصية جديرة بالثناء أو اللوم؟

فعندما نقول لماذا يكون فعل من الأفعال أو شعور معين أو شخصية معينة فاضلة أو شريرة؟ يُجيب "هيوم": "لأنه يسبب لذة أو ألمًا من نوع معين؛ فالشعور بالفضيلة ليس شيئًا سوى شعور برضا من نوع معين ينشأ من تأمل أو تفكير في الشخصية، وهذا الشعور يمثل في حد ذاته ما نبديه من مدح أو إعجاب، دون استفسار عن سبب هذا الرضا"[٣٠]. والإحساس بالرذيلة ليس شيئًا سوى الشعور بضيق ينشأ من تأمل فعل أو سلوك أو خُلُق معين، ويكوِّن هذا الإحساس ما نبديه من نفور واستهجان[٣١].

فالشخصية الفاضلة لا تكون كذلك؛ لأنها ترضينا، ولكن شعورنا أنها ترضينا هو الذي يجعلها فاضلة. والقضية نفسها كما في أحكامنا المتعلقة بكل أنواع الجمال والأذواق والأحاسيس؛ فاستحساننا يعني ضمنيًّا السرور واللذة المباشرة التي ينقلونها إلينا[٣٢].

---

[28]- Hume, David: **A treatise of Human Nature**, Op.Cit, p.367.

[29]- Ibid, p.369.

[30]- Ibid, p.303.

[٣١]- أحمد، محمود سيد: **الأخلاق بين العقل والوجدان**، مرجع سابق، ص ٥٣.

[32]- Hume, David: **A treatise of Human Nature**, Op.Cit, p.303.

إن كل ما يحدث هو أن العقل يفرز الوقائع، ويحلل الموقف؛ فنقف على ظروف وملابسات الفعل، ثم نستدعي العاطفة لكي تثير انفعال الاستحسان أو الاستهجان؛ العاطفة هي التي تقول لنا: إن هذا الفعل فاضل؛ فنستحسنه، وتقول لنا: إن إدراك الفعل ليس فاضلًا؛ فنستهجنه، ومن ثم نرضى عنه في الحالة الأولى، ونلومه في الحالة الأخرى(٣٣).

ولكن نظرًا لأن التعاطف متغير جدًّا، فقد يُعتقد أن عواطفنا في الأخلاق تعترف بجميع الاختلافات نفسها؛ فنحن نتعاطف مع الأشخاص المتجاورين معنا أكثر من الأشخاص البعيدين عنا، نتعاطف مع معارفنا أكثر من الغرباء، نتعاطف مع أبناء بلدتنا أكثر من الأجانب، ولكن على الرغم من تلك الاختلافات في تعاطفنا؛ فإننا نعطي الاستحسان نفسه للصفات الأخلاقية نفسها في الصين كما لو كانت في إنجلترا، فهي تبدو فاضلة بالقدر نفسه، وتوصي بالقدر نفسه نحو احترام المشاهد الحكيم A judicious Spectator؛ فيختلف التعاطف دون اختلاف في تقديرنا(٣٤).

من الواضح أن استحسان الصفات الأخلاقية ليس مستمدًا من العقل أو أية مقارنة بين الأفكار، ولكنه ينشأ بالكامل من الذوق الأخلاقي، ومن بعض مشاعر اللذة والألم، التي تنشأ عند تأمل شخصيات معينة ورؤيتها. لقد أصبح من الواضح الآن، أن هذه المشاعر تختلف وفقًا لمسافة الموضوعات وقربها، ولا يمكن الشعور باللذة الحية ذاتها من فضائل شخص عاش في اليونان منذ ألفي عام، أكثر من الشعور باللذة من فضائل صديق مُقَرَّب، أو معارف مألوفين(٣٥).

٣٣- أحمد، محمود سيد: **الأخلاق بين العقل والوجدان**، مرجع سابق، ص ٤٢.

34- Hume, David: **A treatise of Human Nature**, Op.Cit, p.371.

35- Loc. Cit.

(ISSN : 2536 - 9555)

فالشعور بالاستحسان، والاستهجان لفعل أو سلوك معين أو الموافقة والرفض هما شعور بسعادة أو عدم ارتياح من نوع معين، والتعاطف ينشأ من سرور أو ألم شخص ما أو أشخاص معينين متأثرين بالفعل الذي حُكم عليهم بسببه؛ فالإحسان يرضي المراقب؛ لأنه يتعاطف مع السرور الذي يجلبه الفعل المحسن لصالح المستفيدين، ويثير استياء المراقب؛ لأنه يتعاطف مع الآلام التي يجلبها الفعل الخبيث للشخص أو الأشخاص المصابين(٣٦).

مَيَّز "هيوم" بين لغة الأخلاق، ولغة حب الذات، فالأولى محايدة تعبر عن مشاعر مشتركة للبشرية جمعاء، أمَّا الأخرى فتعبر عن مشاعر الفرد الناشئة عن ظروفه وحالته الخاصة؛ فعندما نتحدث لغة الأخلاق يجب علينا الخروج من حالتنا الخاصة، وأن نختار وجهة نظر مشتركة مع الآخرين، ويجب أن نحرك مبدأ عالمي للإطار الإنساني من خلال تحقيق سلسلة اتصال بين البشرية كافة؛ تؤدي إلى اتفاق وتناغم كلي(٣٧).

المحور الثالث

المشاهد المحايد عند "آدم سميث"

ظهر مفهوم المراقب المحايد بالمعنى الدقيق للمصطلح عند "آدم سميث" في كتابه "نظرية العواطف الأخلاقية"، وكان هدفه الرئيس من وراء ذلك الكتاب تحديد مصدر الحكم الأخلاقي.

ووفقًا لمعظم آراء محرري كتاب "نظرية العواطف الأخلاقية" لـ"سميث"؛ فإن السمتين الأساسيتين لنظرية "سميث" الأخلاقية، هما: التعاطف والمشاهد المحايد، وعلى الرغم من استخدام مفهومي التعاطف والمشاهد المحايد من قِبل "هاتشيسون" و"هيوم" من قبل، إلا أن "سميث" أكد على فكرة الاستقامة Propriety والحيادية

36- Raphael D. D: **The Impartial Spectator…...**, Op.Cit, p.29.

37- Ibid, p.30.

Neutrality؛ ففي الواقع، فإن التعاطف والمشاهد المحايد هما الركنان الأساسيان اللذان أقام عليهما نظرية العواطف الأخلاقية(٣٨).

سعى "سميث" نحو تحليل مفهوم التعاطف أو المشاركة الوجدانية تحليلًا دقيقًا بغرض إيجاد قواعد للسلوك الأخلاقي، وتعني كلمة التعاطف عنده: ميلًا طبيعيًا في الفرد لمشاركة الآخرين أفراحهم وأحزانهم، وانتقال انفعالاتهم وعواطفهم إلى مشاعر ذلك الفرد(٣٩).

حيث يقول في ذلك: "إن استنباط الحزن من حزن الآخرين، أمر واقع وبالغ الوضوح، لدرجة أنه لا يتطلب أية حالات للبرهنة عليه؛ لأن العواطف Sentiments شأنها في ذلك شأن جميع العواطف الأصلية الأخرى للطبيعة الإنسانية، فهي ليست مقتصرة على الفضلاء والإنسانيين– على الرغم من أنهم قد يشعرون بها بشكل أكثر حساسية دون غيرهم– حتى إن أعظم شجاع –المنتهك الأكثر تشددًا لقوانين المجتمع– لا يخلو من ذلك"(٤٠).

فهو يعتقد أنَّ هناك مبدأً عميقًا للغاية في الطبيعة الإنسانية؛ بحيث يشعر بها جميع الناس، بما في ذلك الدعاة والوعاظ، وهذا المبدأ يخبرهم كيف يتصرفون؟ إنه أمر جيد أن يكون هناك شعورٌ مشتركٌ بيننا؛ لأن الوعاظ والدعاة لا يُسْتَمَع إليهم دائمًا وليسوا في متناول أيدينا بشكل مستمر لتصحيح عيوبنا، ولا يمكننا أن نرى ما بداخل عقول الآخرين، أو أن نعرف بشكل مباشر كيف يشعرون أو ما

38- Carrasco, Maria A: **"Hutcheson, Smith, and Utilitarianism"**, Op.Cit, p.525.

٣٩- شكري، فايزة أنور: **مشكلات فلسفية**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠١م، ص ٩٦.

40- Smith, Adam: **The Theory of Moral Sentiments**, Ed by: Knud Haakonssen, 1st, Cambridge: Cambridge University Press, 2002, p,11.

(ISSN : 2536 - 9555)

يعتزمون القيام به، يمكننا فقط أن نتخيل ما يشعرون به، إذا تمثلنا حالتهم، فعندما نلاحظ الحوادث التي تؤثر على الآخرين؛ فإننا نتخيل أنفسنا في موقفهم(٤١).

فمثلًا، عندما نلاحظ وضعًا مأساويًا بشكل خاص، أي شخص على وشك أن يعاني من ضربة في ذراعه أو ساقه أو تمايل راقصة على حبل مشدود من أجل الحفاظ على توازن مناسب؛ فإننا نعيد الطرق نفسها، وننتقل قليلًا بالطريقة نفسها إلى راقصة الحبل المشدود في مخيلتنا، نشعر أننا في موقفها، ونعرف ذلك من خلال العديد من المظاهر الواضحة(٤٢). ولكن، كيف يتم ذلك؟ يوضح "سميث" ذلك قائلًا: "نظرًا لعدم وجود تجربة مباشرة لما يشعر به الأشخاص الآخرون، فلا يمكننا تكوين فكرة عن الطريقة التي يتأثرون بها، ولكن من خلال تصور ما يجب أن نشعر به نحن في الحالة المماثلة"(٤٣).

يبدو أن التعاطف عند "سميث" مطابق في جزء منه لرواية "هيوم" عن التعاطف، ويختلف معه في جزء آخر، وهو إضافة الخيال إلى التعاطف؛ فوفقًا لـ"سميث" بدلًا من الاستجابة ببساطة لسرور الآخرين من سرورهم، ولمعاناة الآخرين من معاناتهم، نجد أنفسنا نحول انتباهنا إلى مشاعر الآخر؛ فنتخيل أنفسنا في موقف الآخر، ونواجه أنفسنا بكل ما يسبب مشاعر الآخر، ثم من خلال الخيال نستجيب بشكل مستقل وبطريقتنا الخاصة على القضية المتخيلة؛ ويترتب على هذا إمَّا أن نستحسن سلوك الرجل الآخر أو نستهجنه وفقا لما نشعر به(٤٤).

41- Kennedy, Gavin: **Adam Smith, A Moral Philosopher and His Political Economy**, 1st, New York: Palgrave Macmillan, 2008, p.51.

42- Loc. Cit.

43- Smith, Adam: **The Theory of Moral Sentiments**, Op.Cit, p.11.

44- Gordon, M. Robert: **"Sympathy, Simulation, and…...**, Op.Cit, p.741.

فإذا وجدنا المشاعر والدوافع نفسها التي تثيرها في أنفسنا، فإننا نوافق على السلوك، وإذا لم يكن كذلك فنحن نرفضه، وهذا يعني أن "سميث" يستخدم منهج المماثلة Identical Method للتعبير عن مشاعر الآخرين ودوافعهم(٤٥).

ولكن في حالات الاستقرار والهدوء، فإن حواسنا لن تخبرنا أبدًا بما يعانيه الآخر، إنها لن تفعل أبدًا، ولن تستطيع أن تنقلنا إلى ما وراء شخصيته، ولكن من خلال الخيال فقط نستطيع أن نشكل أي تصور عن أحاسيسه...، إنها انطباعات Impressions حواسنا الخاصة فقط، وليس انطباعاته، التي تنسخها خيالاتنا(٤٦).

يؤكد "سميث" على أهمية دور الخيال بعد تعاطفنا مع الآخر من أجل إصدار الحكم؛ حيث يقول: "إننا نضع أنفسنا من خلال الخيال في موقفه، حيث نتخيل أنفسنا نتحمل كل العذاب نفسه؛ فنتمثله كما لو كان في جسدنا، ونصبح إلى حد ما الشخص نفسه، ثم نشكل فكرة عن أحاسيسه، وحتى أشعر بشيء ما –بالرغم من ضعفه في الدرجة– لا يختلف عنه تمامًا". ثم تبدأ المعاناة عندما تُنقل إلى أنفسنا، وعندما نعتمدها ونجعلها ملكًا لنا، وتبدأ التأثير فينا، ثم نرتجف ونقشعر عند التفكير فيما يشعر به؛ لأن الشعور بالألم أو الكروب من أي نوع يثير الحزن المفرط؛ لذا فإن تخيل أننا فيه، يثير درجة ما من المشاعر نفسها، بما يتناسب مع حيوية المفهوم أو بلادته Dullness(٤٧). ولكن هل العواطف المتعلقة بالألم والحزن هي فقط التي تستحضر شعور زملائنا؟ يُجيب "سميث" قائلًا: "أيا ما كانت العاطفة التي تنشأ من أي شيء في الشخص المعني بشكل أساسي؛ فإن العاطفة المماثلة تظهر عند التفكير في حالته، وفي مشاعر كل مشاهد منتبه"(٤٨).

45- Loc. Cit.

46- Smith, Adam: **The Theory of Moral Sentiments**, Op.Cit, pp.11-12.

47- Ibid, p.12.

48- Ibid, p.13.

(ISSN : 2536 - 9555)

ثم يشير إلى أن كل عاطفة يكون فيها عقل الإنسان عرضة للتأثر، تتطابق عواطف المشاهد المحايد "غير المتدخل بشيء" دائمًا مع ما يتخيله من خلال إعادة الحالة إلى نفسه، أي يتصور مشاعر المتألم(٤٩).

يعرف "سميث" المشاهد المنتبه أو المراقب "غير المتدخل بشيء" أنه الشاهد الذي تتوافق مشاعره العاطفية Sympathetic Emotions مع ما يتخيله، وينبغي أن تكون مشاعره العاطفية متوافقة مع مشاعر الأشخاص الذين يلاحظهم في مواقف مختلفة، وما هو صحيح بالنسبة له، صحيح بالنسبة للآخرين جميعهم(٥٠).

يأخذ "سميث" فكرة المشاهد خطوة إلى الأمام؛ حيث يطلب منا أن نفكر في المشاهد على أنه موجود في المشاعر وفي مخيلتنا، ويعمل على سلوكنا كما لو كنا نعرف أنه يراقب ما نقوم به. ويتمتع هذا المشاهد الخيالي The Imaginary Spectator الذي لا يقل واقعية في تأثيره على سلوكنا، بالخصائص نفسها التي يتمتع بها أي شخص غريب مجهول يراقب سلوكنا، وتحديدًا في عدم اهتمامه بحالتنا...، إنه لا يتصرف لصالحنا، ولا يميل ضدنا، إنه محايد ويعمل في جميع الأوقات بوصفه مشاهدًا محايدًا لسلوكنا، ونهجه تجاهنا هو تعاطف إنساني محايد Impartial Human Sympathy(٥١).

لا يشير "سميث" إلى تعاطف البشر مع الشفقة أو الرحمة Pity or Compassion المرتبطين بفهم عميق وحقيقي لأحزان الآخرين ومعاناتهم؛ لأنه يستخدم– على وجهة التحديد– كلمة التعاطف للإشارة إلى مشاعرنا تجاه أية

49- Loc. Cit.

50- Kennedy, Gavin: **Adam Smith, A Moral Philosopher and……,** Op.Cit, p.51.

51- Ibid, pp.51-52.

عاطفة بشرية، يكون عقل الإنسان عرضة لها، وقابلًا للتأثر بها[٥٢]. فهو يفهم كلمة التعاطف "للدلالة على شعور زملائنا بأية عاطفة"[٥٣]؛ فالتعاطف إذًا لا يقتصر على العواطف الودية من الإحسان أو الإيثار، بل ينطبق تعاطف "سميث" على كل عاطفة يمكن أن نختبرها[٥٤].

ثم يستطرد "سميث" لتوضيح كيفية عمل التعاطف مع مشاعر الاشمئزاز Disgust والاستفزاز Provoke؛ فمثلًا سلوك الغضب لرجل غضبان من المحتمل أن يثير غضبنا ضد نفسه أكثر من أعدائه، ولأننا غير مدركين ما الذي أغضبه أو استفزه، لا يمكننا إدخال حالته إلى أنفسنا، ولا نتخيل أي شيء مثل العواطف التي تثيرها. لكننا نرى بوضوح تام ما هي حالة أولئك الأشخاص الذين غضب عليهم، والعنف الذي قد يتعرضون له من هذا الرجل الغاضب؛ لذلك فنحن نتعاطف بسهولة مع خوفهم أو استيائهم، ونستعد على الفور للمشاركة ضد الرجل الذي يبدو أنهم في خطر كبير منه[٥٥].

نستنتج مما سبق، أن التعاطف الممزوج بالخيال مع تطبيق مبدأ المماثلة هي العناصر الأساسية التي استند إليها "سميث" في استحساننا أو استهجاننا لسلوك الآخرين والحكم عليه بالموافقة أو الرفض، ولكن كيف يمكنني فحص سلوكي الخاص؟ كيف يمكنني أن أتعاطف مع سلوكي ودوافعي، وأن أكون محايدًا في أثناء تقييمه؟

يُجيب "سميث" عن هذا قائلًا: "عندما أسعى إلى فحص سلوكي الخاص، فإني أقسم نفسي إلى شخصين، أنا المحكوم والقاضي، الأول هو الشاهد الذي أحاول

52- Ibid, p.52.

53- Smith, Adam: **The Theory of Moral Sentiments**, Op.Cit, p.14.

54- Kennedy, Gavin: **Adam Smith, A Moral Philosopher and……**, Op.Cit, p.52.

55- Smith, Adam: **The Theory of Moral Sentiments**, Op.Cit, p.14.

(ISSN : 2536 - 9555)

بمشاعره الدخول إلى سلوكي، ووضع نفسه في موقفي...، والآخر الفاعل، وهو الشخص الذي أسميه نفسي بصورة صحيحة"[٥٦].

من الواضح عند محاكاة شخص آخر لنفسي، يمكنني في هذا الدور أن أتعاطف مع نفسي. ولكن كيف يمكن أن يحدث هذا عندما أكون أنا شخصيًا، مع مشاعري الذاتية ودوافعي، متفرجًا مشاهدًا؟ لا يمكن أن يحدث هذا إلا إذا غيرت عملية التحول إلى مشاهد، والتوصل إلى اعتبار نفسي كآخر، أعتقد أن العملية بدلتنا[٥٧].

نستنتج مما سبق، مجموعة من النقاط، وهي على النحو الآتي:

١- التعاطف هو شعور بالزميل Fellow-feeling مع أية عاطفة مهما كانت، وهذا يساعد في بناء سرد لكيفية تطوير المعتقدات المشتركة حول الاستجابات العاطفية المناسبة بين مجموعة ما.

٢- ليس لفكرة التعاطف أي دور نشط للإله؛ فمهما كان دور الدين في المجتمع، فليس له دور وظيفي في سرد "سميث" للتعاطف والمشاعر الأخلاقية.

٣- يؤدي الخيال الدور الأبرز عند "سميث"؛ لأنه يتيح لنا وضع أنفسنا في مواقف الآخرين، وتقييم ردود أفعالهم المحتملة على سلوكنا، من أجل تحديد السلوك الذي يتماشى مع مفاهيم الاستقامة والآداب الاجتماعية[٥٨].

---

[56]- Gordon, M. Robert: **"Sympathy, Simulation, and…...**, Op.Cit, pp.741-742.

[57]- Ibid, p.742.

[58]- Smith, Craig: **"Peer Review and the Development…...**, Op.Cit, p.325.

٤- استيعاب عملية الحكم التي تزودنا بتقييم محايد ونزيه للآخرين وتطبيقها على سلوكنا، فأنا قادر على التفكير في سلوكي في أثناء تجردي من تحيزي الخاص، أنا أبعد نفسي عن مشاعري وأمارس سيطرة ذاتية.

٥- إن حكم الضمير هو تجربة محسوسة؛ لأن مشاعر المراقب المحايد تستخدم لتسليط الضوء على أنفسنا في الواقع، ونحن نشعر غالبًا أننا نفعل الشيء الخطأ دون معرفة السبب، ويظهر لنا أن المشاهد المحايد يتحدث إلى عواطفنا بقدر ما يتعلق بأسبابنا.

٦- يصف "سميث" الضمير بأنه المشاهد المحايد الذي يوفر "محكمة عليا" Higher Tribunal، ورجلًا خياليًّا داخل المشاعر، وهو القاضي العظيم والمُحكم لسلوكنا(٥٩).

٧- ما يجعل المشاهد المحايد عند "سميث" هو أنه يمثل جزءًا من مضمون علم النفس الأخلاقي الإنساني؛ حيث لا يقدم أية ادعاءات غير واقعية عن الأشخاص باسم مبدأ أخلاقي أسمى مفترض إلى الأبد، فهو لم يشارك ببساطة هذا النوع من المشاريع الفلسفية، فقط أراد أن يشرح كيف أن الأشخاص الفعليين يختبرون فعليًّا الحكم الأخلاقي؛ ونتيجة لذلك، فإن الحكم المعني سيكون حكمًا ناقصًا وغير تام؛ لأن البشر ناقصون. وبهذا المعنى فإن المشاهد المحايد أكثر إنسانية، مع إدراكنا أننا في نهاية الأمر مجرد بشر(٦٠).

59- Ibid, p.326.

60- Ibid, p.328.

(ISSN : 2536 - 9555)

المحور الرابع

مناقشات معاصرة (فيرث وكارسون)

نشأت في خمسينيات القرن العشرين، سلسلة من المناقشات الفلسفية التي نُشرت في "مجلة الفلسفة والبحث الفينومينولوجي"، بدأ هذه السلسلة الفيلسوف الأمريكي "فيرث"؛ حيث نشر مقالة مهمة جدًّا وتعد مصدرًا لكل المناقشات في الحقبة المعاصرة؛ حيث وصف فيها المراقب بمجموعة من الخصائص، وهي أنه:

أ. كلي العلم؛ أي إنه عالم بكل شيء فيما يتعلق بالحقائق غير الأخلاقية.

ب. مدرك أو مطلع على كل شيء.

ج. عديم الاكتراث أو الاهتمام بأي شيء.

د. لا يتأثر بالعواطف والانفعالات.

هـ. متسق مع نفسه (الاتساق).

و. إنسان طبيعي.

وكان تركيز "فيرث" الرئيس هو الادعاء أن المراقب المثالي هو حيلة تمكن المرء من الخروج من مأزق الأنانية في اتخاذ القرارات والتفكير بهدوء وموضوعية حول المشكلات الأخلاقية[٦١].

وسنتناول هذه الخصائص بشيء من التفصيل؛ لأن معظم المناقشات المعاصرة قامت إمَّا بالاتفاق أو الاختلاف مع هذه الخصائص.

أ- خاصية كلية العلم أو العلم بكل شيء.

يشير "فيرث" إلى أن هذه الخاصية تتعلق بالحقائق التي تقع خارج مجال الأخلاق، فيقول: "يجب أن يتميز المراقب المثالي بمعرفة الحقائق التي تقع خارج

---

[61]- Bourke, Vernon J: **"The Ethical Role of the Impartial Observer"**, The Journal of Religions Ethics, Blackwell Publishing: Vol.6, No.2, fall., 1978, p.280.

نطاق الأخلاق، وأقول "غير أخلاقية" Non-ethical؛ لأن خصائص المراقب المثالي يجب أن تقرر بواسطة شخص عقلاني يقرر التساؤلات الأخلاقية، كما أن هناك الكثير من التساؤلات الأخلاقية -أي أسئلة حول المبادئ الأخلاقية النهائية- لا يمكن أن تحدد بالاستنتاج من المقدمات الأخلاقية"[٦٢].

ثم يبيَّن "فيرث" أن هذه الخاصية مهمة جدًا للمراقب المثالي، حيث يقول: "المقصود من مصطلح كلي العلم، هو القول إن المراقب المثالي هو كلي العلم؛ لضمان عدم وجود حدود موضوعية على طبيعة المعلومات الواقعية التي تكون موجودة للتأثير على ردود الأفعال الأخلاقية؛ لتجنب حدوث خلط عند صناعة القرارات الأخلاقية، لذا وجب أن توضع كل الحقائق ذات الصلة في الاعتبار"[٦٣].

هنا يعترض "كارسون" على هذه الخاصية قائلًا: "المشكلة في ذلك، هو أن خاصية كلي العلم بالنسبة للمراقب المثالي تتعارض مع إنسانيته، فالبشر ليسوا قادرين على معرفة كل شيء"[٦٤].

ثم يشير إلى أن "ريتشارد براندت" "Richard Brandt" (١٩١٠-١٩٩٧م) قدم حلًا لهذه المشكلة حيث يقول: "الحقائق ذات الصلة التي يجب أن يعرفها المراقب المثالي هي كل الحقائق التي قد تحدث فرقًا في رد فعله الأخلاقي حول حالة معينة"[٦٥].

ويمكن تجنب هذه المشكلة كما يشير "كارسون" إذا تبينا من المبدأ الآتي: تُعدُّ الحقيقة [ص] ذات صلة بالحكم حول [س]، إذا كان:١

١. معرفة [ص] ستحدث اختلافًا في رد فعل المراقب المثالي على [س].

62- Firth, Roderick: **"Ethical Absolutism and Ideal Observer"**, Op.Cit, p.333.

63- Ibid, p.334.

64- Carson, L. Thomas: **The Status of Morality**, Op.Cit, p.57.

65- Loc. Cit.

(ISSN : 2536 - 9555)

٢. [ص] عضو في مجموعة من الحقائق [ج]، وأن معرفة [ج] من شأنها أن تحدث فرقًا في ردود فعل المراقب المثالي على [س]، ولا توجد مجموعة فرعية من [ج] يكون لمعرفتها التأثير نفسه على ردود أفعاله على [س][٦٦].

ويوضح "كارسون" أن حصول المراقب المثالي على معلومات كاملة يتطلب معرفة وتمثيلًا حيًا لتجارب الآخرين، فيقول: "يتضمن شرط المعلومات الكاملة معرفة تامة لفهم مشاعر الآخرين؛ فمثلًا لكي نكون في وضع جيد لإصدار حكم حول الحالة الأخلاقية لقرار رئيس الدولة ببدء الحرب؛ فلا يكفي لإصدار هذا الحكم معرفة عدد الأشخاص الذين سيقتلون أو سيجرحون فقط، ولكن يجب معرفة تجارب الأشخاص الذين تأثروا بالحرب، فيحتاج المرء أن يعرف كيف يشعرون بالحروق أو فقدان أطرافهم أو أعضائهم الجنسية...إلخ، وعدم وجود هذا النوع من المعرفة يشكل بوضوح جهلًا بالاعتبارات ذات الصلة"[٦٧].

ثم يضيف "كارسون" بعدًا آخر، وهو أنه يجب على المراقب المثالي أن يوضح بشكل ملائم الأشياء أو الحالات التي سيصدر بشأنها أحكامه؛ فلا يكفي أن تكون لديه مجرد معرفة، بل ينبغي أن تكون هذه الأشياء التي يعرفها حاضرة بشكل واضح في ذهنه[٦٨].

كذلك يجب أن يكون لدى المراقب المثالي معرفة تامة بجميع المبادئ الأخلاقية ذات الصلة، ويأتي هذا بوصفها نتيجة طبيعية لمتطلبات المعرفة التامة (أي معرفة جميع الحقائق التجريبية ذات الصلة)، كما ينبغي أن يمتلك المراقب

66- Ibid, p.58.
67- Ibid, p.59.
68- Loc. Cit.

المثالي معرفة تامة عن جميع المبادئ المحتملة التي قد تؤثر على القضايا محل النظر والوعي بالآثار المترتبة على ذلك(٦٩).

ب. خاصية الإدراك أو الاطلاع على كل شيء. يشير "كارسون" أن المقصود بهذه الخاصية: "إن المراقب المثالي قادر على تخيل الأحداث المحتملة Possible Events بوضوح شديد، وكذلك الحالات ذات الشأن، بما في ذلك تجارب الأشخاص الآخرين وحالاتهم الذاتية"(٧٠).

فالقدرة على الخيال خاصية مهمة جدًا بالنسبة إلى المراقب المثالي، وهذا ما أكده "فيرث" قائلًا: "تشير هذه الحقائق إلى أن المراقب المثالي ينبغي أن يتسم بخصيصة فوق العادة أو سلطة استثنائية من الخيال"(٧١).

ثم يُقارن "فيرث" بين خاصية كلية العلم والإدراك أو الاطلاع على كل شيء، أن خاصية كلية العلم كانت تستخدم في بعض الأحيان؛ لتحديد خيال غير محدود الإدراك، على الرغم من هذا فإن استخدام هذه الخاصية، ليس كافيًا للمراقب المثالي؛ لكي يمتلك معرفة واقعية بصورة تسمح له أن يصدر أحكامًا حقيقية؛ لأن المراقب المثالي يجب أن يكون في الوقت نفسه وبشكل آني قادرًا على تخيل كل الحقائق الواقعية والنتائج المترتبة على جميع الأفعال المحتملة في الحالة المعطاة(٧٢).

كما يبيَّن "فيرث" أنه من الصعب جدًا أن نتخيل كائنًا ما يكون قادرًا على هذا النوع من الإدراك الكليّ Universal Perception للأشياء، ولكن عند اتخاذ القرارات الأخلاقية نحاول أن نتخيل عدة أفعال بديلة ونتائجها في تعاقب سريع،

69- Ibid, p.69.

70- Ibid, p.49.

71- Firth, Roderick: **"Ethical Absolutism and Ideal Observer"**, Op.Cit, p.335.

72- Loc. Cit.

(ISSN : 2536 - 9555)

وكثيرًا ما نتمنى لو أن قراراتنا تستند إلى تصور حالي من البدائل؛ لذلك لابد أن ننسب صفة الخيال الكلي إلى المراقب المثالي؛ وهذا لضمان أنه يمتلك ردود أفعال أخلاقية تكون محفزة بفاعلية وإنصاف(٧٣).

وقد شعر "براندت" بنوع من التردد حيال إلصاق خاصيتي كلية العلم والإدراك الكلي، وهو ما يشير إليه قائلًا: "يجب على المرء أن يكون مترددًا من إلصاق خاصية كلية العلم للمرقب المثالي، وبدرجة أكبر يجب أن يكون معارضًا من إلصاق خاصية الإدراك الكلي للمراقب المثالي، أي ملكة لتخيل كل الحقائق، بما في ذلك مسار الأفعال البديلة ونتائجها"(٧٤).

ثم ينفي "براندت" صفة المراقب المثالي عن البشر، طالما أنهم لا يمتلكون خاصيتي كلية العلم والإدراك الكلي؛ لأن هاتين الخاصيتين لا تكونان إلا للإله، وهذا ما يوضحه قائلًا: "يجب ألَّا نطلق على الإنسان صفة مراقب مثالي إلا إذا اتصف بكلية العلم والإدراك الكلي، إلا أن هذه المنزلة مفوضة فقط إلى الإله، أو أي كائن متعال فوق طاقة البشر Superhuman؛ لذلك فإن نظرية المراقب المثالي سيكون لها دور قليل في صناعة القرارات الأخلاقية"(٧٥).

ولكن لماذا ينفي "براندت" هاتين الخاصيتين عن الإنسان؟ يُجيب قائلًا: "إن هاتين الخاصيتين تخفيان جانبًا مهمًا من الخصائص الإنسانية للمراقب المثالي، مثل: مواجهة التجربة والدهشة وخيبة الأمل والقلق، وهذه الخصائص تنبع من الجهل بالمستقبل وعدم القدرة على التنبؤ به"(٧٦).

73- Loc. Cit.

74- Brandt, Richard B: **"The Definition of an Ideal Observer Theory In Ethics"**, Philosophy and Phenomenological Research, Brown University: Vol.15, No.3, Mar., 1955, p.409.

75- Loc. Cit.

76- Loc. Cit.

ثم يقترح "براندت" كما تشير "نانسي رانكين" "Nancy Rankin" أن ما يحتاجه الإنسان هو فقط أن يكون واعيًا بالحكم أو رد فعله تجاه الموقف الأخلاقي، وأن يكون على وعيٍ بالحقائق الواضحة التي تؤثر في رد فعله الأخلاقي في الموقف المعطى(٧٧).

إلا أن "تشالز تاليافيرو" "Charles Taliaferro" (١٩٥٢م–) الفيلسوف الأمريكي، دافع عن وجهة نظر "فيرث" من أن هاتين الخاصيتين ليستا مستحيلتين ميتافيزيقيًا، حيث يقول: "ألا يستطيع الإله أن يخلق ببساطة إنسانًا يدرك حقيقة كل القضايا؟ يبدو أن هذا ممكنًا بشكل ميتافيزيقي"(٧٨).

وتوضح "رانكين" إذا كان المراقب المثالي غير كلي العلم وغير مدرك لكل شيء؛ فلن يكون على يقين بأنه يدرك بوضوح جميع الحقائق أو الوقائع التي تكون ذات صلة بالحالة الأخلاقية؛ لأن المعرفة محدودة، ولن يستطيع معرفة الحقائق التي يمكن أن تؤثر في رد فعله الأخلاقي، ما لم يكن على علم بجميع الحقائق التي تقع خارج نطاق الأخلاق، لذلك يحتاج المراقب المثالي هاتين الخاصيتين من أجل التأكيد أن جميع الحقائق ذات الصلة تكون معتبرة، ودون معرفة كل الحقائق؛ فإن متخذ القرار الأخلاقي لا يمكن أن يمتلك أي نوع من الثقة(٧٩).

77- Rankin, Nancy: **"A substantive Revision to Firth's Ideal Observer Theory"**, Stance, An International Undergraduate Philosophy Journal: Volume 3, April, 2010, p.58.

78- Taliaferro, Charles: **"Relativising the Ideal Observer Theory"**, Op.Cit, p.125.

79- Rankin, Nancy: **"A substantive Revision to Firth's…...,** Op.Cit, p.58.

(ISSN : 2536 - 9555)

ج. خاصية عدم الاكتراث أو الاهتمام "عدم المبالاة".

يقصد بهذه الخاصية أنه ليس للمراقب المثالي أية اهتمامات أو رغبات خاصة تتضمن الإشارة إلى أفراد معينين أو أي أشياء خاصة، فاهتماماته كلها عامة، فمثلًا: لا يمكن أن يرغب المراقب المثالي في أن يكون "سميث" سعيدًا، أو أن يرغب في أن تكون الكاتدرائية محمية. وعلى أية حال، فالمراقب المثالي يرغب فقط في أن يكون جميع البشر سعداء، ويرغب في الحفاظ على جميع المباني الجميلة[٨٠].

يوضح "فيرث" هذه الخاصية قائلًا: "لا ينبغي أن يقال عن المراقب المثالي أن لديه اهتمامًا خاصًا لفعل معين [ص]، لمجرد رغبة أو اهتمام في [ص]؛ نتيجة لاعتقاده أن [ص] يرتبط بطريقة معينة بفعل فريد أو مميز أو خاص"[٨١].

وعلى الرغم من أن "فيرث" ينفي عن المراقب المثالي أن يكون له أي نوع من الاهتمامات أو الرغبات، إلا أنه لم ينفِ عنه الرغبة في أن يكون محايدًا، ويؤكد على ذلك قائلًا: "يبدو أن البيان الأخير كافٍ لتمثيل مفهومنا للمراقب الأخلاقي المحايد، وكثيرًا ما نعجب بالمراقب الأخلاقي على وجه التحديد؛ لأننا نعتقد أنه لا توجد لديه اهتمامات أو رغبات خاصة، إلا رغبته في أن يكون محايدًا"[٨٢].

ويشير "فيرث" أن من إحدى الخصائص المهمة والحاسمة للمراقب المثالي هي أن يكون على الحياد التام Fully Impartial، ولكن ينبغي ألا نخلط بين صفة الحياد وتوحيد Uniformity ردود أفعاله الأخلاقية، فالمراقب المثالي يجب أن يكون حياديًا في القرارات المماثلة في الحالات المتشابهة، وقد نميل إلى تعريف المراقب المثالي

---

[80]- Ibid, p.59.

[81]- Firth, Roderick: **"Ethical Absolutism and Ideal Observer"**, Op.Cit, p.338.

[82]- Ibid, p.339.

بوصفه مراقبًا حياديًا عندما تكون ردود أفعاله الأخلاقية تجاه فعلين هي دائمًا نفسها، إذا كانا متماثلين في كل النواحي الأخلاقية ذات الصلة(٨٣).

ثم يفرق "فيرث" بين الاتساق والحياد بوصفهما خاصيتين للمراقب المثالي، حيث يقول: "عندما أقول: إنَّ المراقب المثالي متسق مع نفسه، فإني أقول شيئًا حول توحيد ردود أفعاله الأخلاقية، في حين أن قولي: إنَّ المراقب المثالي حيادي، فإني أقول شيئًا عن العوامل التي تؤثر في ردود أفعاله"(٨٤).

فالحياد يرتبط بشكل مباشر بالقدرة على الحكم الأخلاقي الصحيح، أمَّا إذا حاد المراقب المثالي عن الحياد، فهذا يعني أن قراراته قد تأثرت بالعوامل التي أفسدتها أو حرفتها(٨٥).

د. خاصية عدم التأثر بالعواطف والانفعالات.

تعني هذه أن ليس للمراقب المثالي أية مشاعر موجهه نحو أشياء أو أشخاص معينين، فمثلًا لا يمكن للمراقب المثالي أن يحب شخص ما؛ لأنه ابنه أو والده(٨٦).

وهذا ما بينه "فيرث" قائلًا: "إن المراقب المثالي كما أتصوره عادة، هو القاضي الذي لا يتأثر في قراراته باهتماماته الخاصة، ولا يتأثر أيضًا بعواطفه وانفعالاته"(٨٧).

83- Ibid, p.336.

84- Loc. Cit.

85- Loc. Cit.

86- Rankin, Nancy: **"A substantive Revision to Firth's…...**, Op.Cit, p.50.

87- Firth, Roderick: **"Ethical Absolutism and Ideal Observer"**, Op.Cit, p.340.

(ISSN : 2536 - 9555)

نفهم من هذا أن "فيرث" يؤكد على أن غياب بعض المحفزات العاطفية يمكن أن تؤخذ بوصفها شرطًا إيجابيًا، وهذه الحقيقة يجب أن تؤخذ في الحسبان؛ فالمراقب المثالي لا يبالي ولا يستجيب من خلال المحفزات العاطفية[٨٨].

وتكمن مشكلة المراقب المثالي مع العواطف –كما يرى فيرث– أنها تعيق حيادية المراقب المثالي أو القاضي؛ فحيادية المراقب المثالي تعني أنه قادر على مواجهة هذا النوع من العواطف، مثل: عواطف الغيرة وحب الذات والكراهية الشخصية، وغيرها من العواطف الموجهة نحو أفراد معينين.

ويشير "فيرث" أنه يمكن الذهاب إلى أبعد من ذلك، من خلال القول إنَّ المراقب المثالي عاجز تمامًا عن مواجهة أي نوع من العواطف بشكل مطلق؛ لأن هذا المفهوم أقرب إلى تصور "كانط" للكائن العقلاني المجرد[٨٩].

وقد عارض "كارسون" وجهة نظر "فيرث" حول هذا الخاصية، وحدد ثلاث طرق؛ لفهم تجارب الآخرين، وهي:

١- العدوى العاطفية Emotional Infection: هي انتقال المشاعر من مخلوق إلى آخر، وعادة ما تحدث العدوى العاطفية في الحشود أو المجموعات الكبيرة، وفي هذه الحالة يتحمل المرء مزاج من حوله، وهذا هو السبب الذي يجعلنا نبحث عن سعادة أنفسنا من خلال البحث عن رفقاء مرحين أو مبتسمي الوجه.

٢- التعاطف Sympathy: من أجل التعاطف مع مشاعر شخص آخر، فلابد أن يدرك ما يجرِبه، فمثلًا إذا رأيت شخصًا ما يحطم إصبعه بمطرقة، فأعلم من خلال تجرِبتي الخاصة ما الذي يشعر به للقيام بذلك، ولكن إذا لم يكن بإمكاني استدعاء صورة ذهنية عن آلامه، فلا يمكن أن أتعاطف معه.

---

[88]- Ibid, p.329.

[89]- Ibid, p.340.

فيمكننا تمثيل تجارب الآخرين في خيالنا بالطريقة نفسها التي نتخيل بها الأصوات والروائح، وما إلى ذلك. إن الحصول على صورة ذهنية لتجارب شخص آخر لا يستلزم الخضوع لتلك التجارب ذاتها، فعلى عكس ما يقول به "هيوم" و"سميث" و"شوبنهاور" و"شتاين"، فمن الممكن التعاطف مع شخص آخر دون الخضوع لتلك التجارب، فمثلًا أستطيع أن أتعاطف مع شخص يعاني من الصداع دون تعرض نفسي للصداع. ويتطلب التعاطف نقلة عاطفية من مشاعر شخص إلى آخر، فالتعاطف مع معاناة شخص آخر (من أي نوع) يستلزم بالضرورة الشعور بالمعاناة نفسها، وإذا كنت غير مبالٍ بمحنة شخص آخر، فلا يمكن أن يقال أنني أتعاطف معه[٩٠].

٣- التماثل العاطفي Emotional Identification: في بعض الأحيان نتخيل أنفسنا في مواقف الآخرين بشكل جيد، بحيث نمر بأنواع المشاعر نفسها التي يواجهونها تقريبًا، والجميع تقريبًا على دراية بظاهرة الشعور بالخوف أو القلق أو البهجة نتيجة التماثل مع أشخاص آخرين أو شخصيات خيالية.

يظهر الخوف والقلق –مثلًا– على الأشخاص الذين يشاهدون راقصًا على حبل مشدود، حيث يشعرون بالخوف وهم يتخيلون أنفسهم في مكانه، ويظهر التماثل العاطفي بشكل متميز عن الأشخاص الذين لديهم قوى خيالية واسعة.

إن التماثل العاطفي لا يمكن أن يعطينا تمثيلًا كافيًا لمشاعر الآخرين، إلا إذا تخيلنا ببساطة كيف سنشعر عندما نكون في وضعهم...، وعلى الرغم من أن قدرتنا على الخيال وتحديد التماثل يمكن أن يعطينا معرفة جيدة عن مشاعر الآخرين، إلا أنها لا تزودنا بأية نظرة ثاقبة لطبيعة الأحاسيس الجسدية التي تواجه الآخرين، فإذا كنت أتعاطف بشدة مع شخص تم سحقه حتى الموت، فإني

[90]- Carson, L. Thomas: **The Status of Morality**, Op.Cit, pp.61-62.

(ISSN : 2536 - 9555)

أستطيع أن أشعر بشيء من الخوف والحزن الذي يشعر به قبل موته، ولكن لا أستطيع أن أشعر بأي شكل من أشكال الآلام الجسدية التي يعاني منها[٩١].

كما عارض "جوناثان هاريسون" "Jonathan Harrison" (١٩٤٢-٢٠١٤م) هذه الخاصية قائلًا: "أنا لا أوافق على اقتراح الأستاذ "فيرث" بأن المراقب المثالي يجب أن يكون خاليا من العواطف؛ لأنه يبدو لي أن الكائن الذي ليس لديه مشاعر، لن يكون له أية استجابات تجاه الأفعال الأخلاقية"[٩٢].

وهذا ما رأته كذلك "رانكين"، من أن رد الفعل الأخلاقي المثالي يجب أن يؤدَّى من خلال العاطفة؛ لأن ذلك يزود حافز الفعل ويجعل صناعة القرار الأخلاقي ضمن نطاق الفهم البشري[٩٣].

كذلك لم يجرد "سميث" المراقب المحايد من خاصية التعاطف عندما قام بالتمييز بين مفهوم الإنسانية ومفهوم ضبط النفس، حيث رأى أن مفهوم الإنسانية هو درجة ذات مستوى عال من الشعور بالتعاطف مع الآخرين، وهي نتيجة جهد من قبل المراقب المحايد ليبرر تعاطفه، كي يماثل تجارب الآخرين، بينما ضبط النفس يسعى نحو تقييد كبح جماح العواطف الطبيعية، ويعمل على تقليل درجة الميل إلى الحالة الطبيعية العادية، ويشكل الاثنان معًا كمال الطبيعة الإنسانية[٩٤].

91- Ibid, pp.62-63.

92- Harrison, Jonathan: **"Some Comments on Professor Firth's Ideal Observer Theory"**, Philosophy and Phenomenological Research, Brown University: Vol.17, No.2, Dec., 1956, p.260.

93- Rankin, Nancy: **"A substantive Revision to Firth's…...**, Op.Cit, p.55.

94- Raphael D. D: **The Impartial Spectator……**, Op.Cit, p.34.

يشير "ريتشارد هير" "R.M.Hare" (١٩١٩-٢٠٠٢م) موضحًا أنه إذا أصبح الشخص [ص] غير محاب، ومن ثمَّ غير متأثر بعواطفه وبليد الشعور، ولا يقيم وزنًا في انفعالاته لاهتمامات غيره، كما الحال بصدد انفعالاته الشخصية، عندئذ لن يكون بالموقف المعطى ما يحمله على قبول أو رفض أي مبدأ خلقي دون غيره، وهذا هو السبب الذي حدا بأولئك الفلاسفة من أمثال "سميث" والأستاذ "كالفرت نايلز" "W. C. Kneels" (١٩٠٦-١٩٩٠م) إلى الدعوة إلى ما أطلقوا عليه "نظرية المراقب المحايد"، وطالبوا فيها بأن يكون المراقب المحايد الذي رسموه في مخيلتهم ليس مجرد مشاهد غير متأثر بعواطفه، بل هو الملاحظ المتعاطف غير المتحيز[٩٥].

ويبيَّن "جيلبرت هارمان""Gilbert Harman" (١٩٣٨م-) أن عاطفة الإحسان هي التي ترشد الفاعل إلى الفعل، وهى كذلك التي ترشد المراقبين إلى الموافقة على تلك الأفعال، ففعل الفاعل يكون صائبًا؛ لأن المراقبين المحايدين يوافقون على تصرف الفاعل على النحو الذى تصرف عليه، والمراقبون لن يوافقوا على الفعل؛ لأنه صائب أو صحيح، وإنما يوافقون عليه لأنه يحقق السعادة للناس، فالفعل يكون صائبًا عندما يحقق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد ممكن من الناس[٩٦].

ولكن، هل المراقب المثالي شديد الحساسية في ردود أفعاله؟ يُجيب "كارسون" على هذا التساؤل أن التمثيل الحيوي للمراقب المثالي للحقائق ذات الصلة من شأنه أن يتسبب في أن يكون عاطفيًا في أحكامه، إلى الحد الذي يمثل فيه بوضح الحقائق ذات الصلة، لن يتمكن من الموافقة على مسارات الفعل التي لها نتائج

---

[٩٥]- هير، ريتشارد: **الحرية والفكر**، ترجمة: يوسف ميخائيل أسعد، القاهرة: دار النهضة العربية، د.ت، ص ١٣١.

[96]- Harman, Gilbert: **Moral A gent and Impartial Spectator**, 1st, University of Kansas: The Lindley Lecture, April, 18, 1986, p.5.

(ISSN : 2536 - 9555)

وخيمة أو غير سارة، فمثلًا: قد يقال: إنَّ المراقب المثالي لا يمكنه الموافقة على الإجهاض أو أية أعمال حرب، إذا كانت لديه كل تفاصيله البشعة التي تعرض بوضوح على الذهن(٩٧).

هـ. خاصية الاتساق.

تشير هذه الخاصية إلى أن المراقب المثالي يجب أن تكون ردود أفعاله الأخلاقية جميعها متسقة(٩٨). ويرى "فيرث" أن خاصية الاتساق ليست خاصية نهائية تتعلق بمضمون معين، وإنما هي نتيجة لخاصية عدم الاكتراث وخاصية عدم التأثر بالعواطف والانفعالات؛ لذلك فهي صفة قابلة للاشتقاق(٩٩).

إن اتساق أي قرارين أخلاقيين يجب أن يعتمدا على عَلاقة هذه القرارات ببعض المبادئ الأخلاقية العامة التي تكون متصورة بوصفها مجموعات ممكنة من العبارات الأخلاقية(١٠٠). ولكن متى يكون المراقب المثالي غير متسق مع نفسه؟ يُجيب "فيرث" عن هذه التساؤل قائلًا: "يُعَدُّ القاضي الأخلاقي غير متسق مع نفسه؛ إذا اتخذ قرارًا لصالح الفعل [ص]، وليس الفعل [ص١]، بينما في حالة أخرى اتخذ قرارًا لصالح الفعل [س]، بدلا من الفعل [س١]، فالفعل [ص] يمكن أن يكون فعلًا صائبًا فقط إذا كان المبدأ الأخلاقي [ع] صائبًا، والفعل [س] يمكن أن يكون فعلًا صائبًا فقط إذا كان المبدأ الأخلاقي [ع] خاطئًا"(١٠١).

97- Carson, L. Thomas: **The Status of Morality**, Op.Cit, pp.65-66.

98- Firth, Roderick: **"Ethical Absolutism and Ideal Observer"**, Op.Cit, p.341.

99- Ibid, p.344.

100- Liikkanen, Karri J: **Ideal Observer Theory**, Master's Thesis, University of Helsinki: ProQuest, August, 2013, p.18.

101- Firth, Roderick: **"Ethical Absolutism and Ideal Observer"**, Op.Cit, p.342.

يعني هذا أن الفعل في الحالة الأولى يكون صائبًا، إذا كان متسقًا مع مبدأ أخلاقي عام، بينما في الحالة الأخرى على الرغم من أن الفعل صائب فإنه غير متسق مع مبدأ أخلاقي عام، وفي هذه الحالة الأخيرة يكون حكم أو قرار القاضي أو المراقب المثالي غير متسق مع نفسه.

ثم يركز "فيرث" على التماثل في ردود أفعال المراقب المثالي، أي أن جميع قراراته متماثلة مع الحالات الأخرى المتشابهة، حيث يقول: "لتحديد خاصية الاتساق بالنسبة إلى المراقب المثالي، فيمكن أن نعرفه في جزء منه بوصفه الكائن الذى ستكون ردود أفعاله الأخلاقية نحو فعل معين دائمًا متماثلة ومتشابهة تمامًا(١٠٢).

وخاصية الاتساق ببساطة شديدة تعني: أن ردود أفعال المراقب المثالي الأخلاقية هي دائمًا نفسها، وهذا يتطلب من المراقب المثالي أن يكون قادرًا على التفكير بشكل نقدى تمامًا في كل فعل، وأن يكون قادرًا على التمييز بين الأفعال، حتى يكون قادرًا على معرفة أقل الاختلافات بين الأفعال(١٠٣).

و. خاصية كونه إنسانًا طبيعيًا.

يرى "فيرث" أن كل الخصائص سابقة الذكر للمراقب المثالي، ليست كافية، ومهما بلغت درجة مثاليته فهو في النهاية شخص طبيعي Normal Person؛ لذا فإن المراقب المثالي هو شخص وليس تصورًا ما ورائيًا أخلاقيًا مجردًا Pure Meta-ethical(١٠٤).

ويشير "فيرث" أن خصائص المراقب المثالي لا يمكن أن تتجاوز حدود الحياة الطبيعية، ولكن تعريف الحياة الطبيعية ليس ممكنا، وأن هناك أسبابًا كثيرة لذلك،

102- Ibid, p.343.

103- Liikkanen, Karri J: **Ideal Observer Theory**, Op.Cit, p.19.

104- Loc. Cit.

(ISSN : 2536 - 9555)

يمكن أن نطلق عليها اسمًا واحدًا، الحالة الطبيعية هي مفهوم الجشطلت Gestalt، واستخدم هذا المفهوم بمعنى: أن بعض الصفات التي تكون متعمقة في التجريد، وتسمى صفات غير طبيعية Abnormal، يمكن أن تُسْهِم في تكوين الشخصية الكلية التي تقع ضمن حدود الحالة الطبيعية(١٠٥).

وتوضح "رانكين" إلى أن المراقب المثالي عند "فيرث" هو شخص طبيعي، ويؤكد ببساطة أن هذا الشخص لا يمكن أن يعاني من ورم في المخ، أو أية اضطرابات نفسية قد تحيده أو تحرفه عن حكمه على الموضوعات الأخلاقية(١٠٦).

ووضع "فيرث" بعض الشروط للمراقبين المثاليين؛ لصناعة الأحكام الأخلاقية الصحيحة، مثل: التمارين الجسدية الخفيفة، مثل: المشي، ووجود أشخاص آخرين في محاولة اتخاذ قرارات مماثلة، وبعض المحفزات الجمالية. وعلى النقيض، فإن صفات مثل: الإعياء العقلي، وتشتت دوافعه الحسية، وقلة خبرته، هي صفات غير محبذة تمامًا(١٠٧).

ثم ينفي "فيرث" تجريد المراقب المثالي من أية خصائص أو صفات محددة للكائنات البشرية، حيث يقول: "يبدو من المشكوك فيه أنه يمكن القول: إنَّ المراقب المثالي يفتقر إلى أيٍّ من الخصائص والملكات المقررة للكائنات الإنسانية"(١٠٨).

يتفق "سميث" مع "فيرث" في القول إن المراقب المحايد هو شخص طبيعي، حيث جعله شخصية خيالية، ولكنه من صنع العقل البشري، فالمراقب المحايد

105- Firth, Roderick: **"Ethical Absolutism and Ideal Observer"**, Op.Cit, p.345.

106- Rankin, Nancy: **"A substantive Revision to Firth's……**, Op.Cit, p.56.

107- Firth, Roderick: **"Ethical Absolutism and Ideal Observer"**, Op.Cit, p.345.

108- Ibid, p.344.

لـيس المقيـاس أو المعيـار الفعلـي الـذي قـد يُبـدي الاستحسـان أو الاسـتهجان لسلوكي، فهو خلق من خيالي، وهو في الواقع الشخص نفسه(١٠٩).

ويعني هذا، أن المراقب المحايد شخص طبيعي، لكن لديه القدرة على استخدام الخيـال، فـالأفراد الـذين يرغبـون فـي الحكـم علـى أفعـالهم لا يخلقون فقط مشـاعر مماثلة، ولكن يخلقون كذلك شخصًا خياليًا يقوم بدور المراقب المثالي أو القاضـي، فعندما أسعى لفحص سلوكي الخـاص لإصـدار حكـم بالموافقة أو الـرفض، أقسم نفسي –إن جاز التعبير– إلى شخصين؛ الشخص الأول هو المراقب المثالي الذي يقوم بفحص سلوكي، أمـا الآخـر فهـو الفاعـل الأصـلي الـذي سيتم الحكـم علـى سلوكه(١١٠).

وقد وصف "سميث" المراقب المحايد، بعدة خصائص، هي:

أ. إنـه حبـيس المشـاعر، أي داخـل الإنسـان لا يمكـن أن يخـرج منـه إلـى عـالم الوجود الفعلي.

ب. إنه مجرد ممثل للبشرية.

ج. إنه بديل للإله(١١١).

ويشير "كارسون" إلـى أن "براندت" أكد أن الحكم الأخلاقي يكون صـائبًا فقط، إذا كان مقبولًا من شخص يمتلك الصفات الآتية:

أ. حيادي.

ب. على علم تام Fully Informed.

ج. في حالة عقلية طبيعية.

109- Raphael D. D: **The Impartial Spectator……**, Op.Cit, p.35.

110- Weinstein, Jack Russell: **"Adam Smith (1273-1790)"**, In: Internet Encyclopedia of Philosophy, U.S.A: University of North Dakota, www.iep.utm.edu/smith. 15-9-2015.

111- Raphael D. D: **The Impartial Spectator……**, Op.Cit, p.p.38-42.

(ISSN : 2536 - 9555)

د. لابد أن يكون حكمه متوافقًا مع نظام من المبادئ، وكلاهما ثابت وعام(١١٢).

يبيَّن "هير" صفات المراقب المثالي في أثناء حديثه عن التفرقة بين التفكير الأخلاقي النقدي والحدسي، وقد أجملها قائلًا: "فكر في وجود كائنات ذات قوى إنسانية فائقة التفكير Superhuman Powers of Thought، وتمتلك معرفة إنسانية فائقة، ولا توجد بها نقاط ضعف بشرية، وسأدعوها "الملاك الرئيس" Archangel، الذي يشبه المراقب المثالي أو الواصف المثالي Ideal Prescriber أو "المستبصر" Clairvoyant في صلاحيته للتنبؤ"(١١٣).

كل هذه الصفات أو الخصائص تضع المراقب المحايد أو المثالي في مرتبة أعلى من المرتبة البشرية، بل إنها ترقى به في بعض جوانبها إلى مرتبة الإله أو نصفه، إلا أننا نجد "فيرث" ينفي هذا عن المراقب المثالي، فيقول: "من المتوقع أن أي وصفٍ مناسبٍ للمراقب المثالي سيكون وصفًا جزئيًا من صفات الإله، فالإله إذن قد يكون متصورًا؛ لكى يكون قاضيًا أخلاقيًا معصومًا Infallible Moral Judge، ولكن المراقب المثالي لا يلزم بالضرورة أن يمتلك مثل هذه الخصائص كالقوة لخلق الأجسام الطبيعية أو حتى القوة للثواب والعقاب؛ لأن هذه الخصائص ذات علاقة بالقدرة الإلهية، وليست لها علاقة بالقاضي الأخلاقي(١١٤).

يرى "كارسون" أن نظرية "فيرث" تخفق في دعم نسخة قوية من مذهب الموضوعية الأخلاقية Moral Objectivism؛ حيث يقول: "المراقبون المثاليون قد يختلفون في وجهات نظرهم أو مواقفهم حول بعض القضايا الأخلاقية؛ لذا

112- Carson, L. Thomas: **The Status of Morality**, Op.Cit, p.50.

113- Hare, M. R: **Moral Thinking;** Its level, Method, and Point, 1st, New York: Oxford University Press Inc., 1981, p.44.

114- Firth, Roderick: **"Ethical Absolutism and Ideal Observer"**, Op.Cit, p.333.

أخفقت نظرية "فيرث" في دعم نسخة قوية من الموضوعية الأخلاقية، ومن أجل أن تدعم نظرية "فيرث" وجهة نظر موضوعية قوية، فمن الضروري أن يكون لجميع المراقبين المثاليين المواقف نفسها تجاه جميع الأسئلة الأخلاقية التي يمكن تصورها"[١١٥].

ومن أجل إظهار أن نظرية "فيرث" أخفقت في دعم نسخة قوية من الموضوعية الأخلاقية، كان من الضروري العثور على مسألة أخلاقية واحدة، يمكن من خلالها للمراقبين المثاليين المختلفين أن يكون لهم مواقف متضاربة منها، فإذا نظرنا إلى بعض الأسئلة المتعلقة بأخلاقية الكذب Morality of Lying، فهل يجوز للطبيب أن يكذب على المريض بشأن حالته الصحية إذا كان يعتقد أنه من المحتمل أن يموت المريض من الخوف؛ إذا علم بخطورة حالته[١١٦].

يعني هذا، أن المراقبين المثاليين قد يختلفون في وجهات نظرهم أو مواقفهم حول بعض القضايا الأخلاقية، وهذا دليل على وجود تقصير في نظرية "فيرث"، ولكى تتمكن نظرية "فيرث" من دعم نسخة قوية من مذهب الموضوعية؛ فلابد أن يكون للمراقبين المثاليين المواقف نفسها حول كل الأسئلة الأخلاقية المعقولة التي يمكن تصورها، وهذا محال، كما يقول "كارسون"؛ لذلك فإن نظرية المراقب المثالي عند "فيرث" تدعم وجهة نظر متوسطة بين الموضوعية المتطرفة Extreme Objectivism والنسبية المتيا-إثيكا المتطرفة Extreme Meta-ethical Relativism[١١٧].

يوجه "كارسون" نقدًا آخر إلى "فيرث"، وهو أن الخصائص التي أعطاها "فيرث" إلى المراقبين المثاليين ليست كافية لتقرير مواقفه حول الحالات الأخلاقية، وقد

115- Carson, L. Thomas: **The Status of Morality**, Op.Cit, p.51.

116- Loc. Cit.

117- Loc. Cit.

(ISSN : 2536 - 9555)

تجاهل "فيرث" شيئًا مهمًا جدًا، وهو الخلفية الأخلاقية والتدريب الأخلاقي Moral Training للمراقبين المثاليين، إذ لم يتعامل معهما "فيرث" على الإطلاق، ويبدو من المعقول أن الخلفية الأخلاقية والتدريب الأخلاقي يؤثران في صناعة القرارات الأخلاقية للشخص(١١٨). كما أن نظرية "فيرث" تستبعد تمامًا أن يكون المراقبون المثاليون المختلفون قد تلقوا أنواعًا مختلفة من التدريب الأخلاقي(١١٩).

ثم يوضح "كارسون" نوعين من نظرية المراقب المثالي وما يترتب عليهما من أحكام أخلاقية موضوعية، **النوع الأول** هو الذي بموجبه يتحدد الحكم الأخلاقي من خلال موافقة المراقبين المثاليين، وصيغتها: إذا كان هناك حكم أخلاقي معين ينطبق على جميع البشر؛ فإن جميع المراقبين المثاليين من البشر يقبلونه. وتعتمد الآثار المترتبة على هذا على نوع التدريب الأخلاقي الذي نسنده إلى المراقب المثالي، وهناك احتمالان رئيسيان، هما:

أ. يمكن القول إن المراقب المثالي لم يتلق أي تدريب أخلاقي على الإطلاق، وليس لديه أية معرفة بالمفاهيم والنظريات الأخلاقية الممثلة، وهذا يستبعد إمكانية أن يكون لديه أي نوع من المعرفة الأخلاقية ذات الصلة بالمبادئ الأخلاقية.

ب. يمكن القول: إنَّ المراقب المثالي تلقى نوعًا من التدريب الأخلاقي، وأنَّ لديه نوعًا من المعرفة بالمفاهيم الأخلاقية التي تتوافق مع سماته الأساسية الأخرى، أي أن قبول أي شيء لا ينطوي على معتقدات خاطئة أو أي جهل بالحقائق ذات الصلة.

ففي الاحتمال الأول، لم يتلق الشخص أي تدريب أخلاقي؛ لذلك لا يمكن له إصدار أية أحكام أخلاقية على الإطلاق، وهذا يعني أن بعض المراقبين المثاليين

---

[118]- Liikkanen, Karri J: **Ideal Observer Theory**, Op.Cit, p.60.

[119]- Carson, L. Thomas: **The Status of Morality**, Op.Cit, p.52.

الذين لم يتلقوا أي تدريب أخلاقي لن يصدروا أية أحكام أخلاقية؛ لذلك فهم عدميون أخلاقيون Moral Nihilists ولا يصدرون أي أحكام أخلاقية[١٢٠].

أمَّا النوع الآخر الذي بموجبه تُحدَّد صحة الأحكام الأخلاقية حول شيء ما، فهو يرجع إلى موقف المراقب المثالي؛ فالمواقف التي يتخذها المراقب المثالي هي المعيار لتحديد صحة الأحكام الأخلاقية. والاختلاف بين الحالتين، هو أن الأولى تتعلق بالحكم الذي يقبله المراقب المثالي، والثانية تتعلق بموقف المراقب المثالي من القضية المطروحة.

ويمكن صياغته على النحو الآتي: الحكم الأخلاقي المناسب هو أمر صحيح لجميع البشر، إذا كان لكل المراقبين المثاليين موقف مناسب تجاهه؛ والحكم الأخلاقي غير المناسب هو أمر صحيح لجميع البشر، إذا كان لكل المراقبين المثاليين موقف غير مناسب تجاهه؛ ويترتب على هذا أنه إذا كان جميع المراقبين المثاليين غير مبالين ولا مكترثين بشيء ما، فهذا يعني أن جميع البشر غير مبالين ولا مكترثين به[١٢١].

فالرؤية التي أراد "كارسون" تأييدها على النحو التالي: [ص] خير أخلاقي، يستلزم هذا أن يكون لديك موقف مناسب تجاه [ص]، ومن غير الصحيح أن يكون لديك أي نوع آخر من المواقف حيال ذلك؛ لذلك فإن الشرط الضروري لكون الحكم الأخلاقي صحيحًا بشكل موضوعي، هو أن يكون لجميع المراقبين المثاليين موقف مناسب تجاه [ص][١٢٢].

ثم يصف "كارسون" المراقب المثالي في نظريته أنه الشخص الذي يفي بالشروط الخمسة التالية:

120- Ibid, p.82.

121- Loc.Cit.

122- Ibid, p.48.

(ISSN : 2536 - 9555)

أ. هو الشخص الذي يكون على علمٍ تامٍ بالأمور غير التجريبية، كما أنه يمتلك المعرفة والتمثيل الحي لتجارب الآخرين.

ب. هو مُلِمٌّ بشكلٍ تامٍ Fully Acquainted بجميع المبادئ الأخلاقية ذات الصلة.

ج. وجهات نظره ومواقفه لا تعتمد إلا على التأثر بهذه المبادئ.

د. لديه مواقف لا تنطوي على النزوح العاطفي Emotional Displacement وخداع الذات Self-deception.

هـ. أخيرًا هو إنسان طبيعي(١٢٣).

نتائج البحث

تأسيسًا على ما سبق، يمكن استنتاج مجموعة من النتائج، أهمها:

أولا: المراقب المحايد فكرة واقعية، تهدف إلى تبرير الحكم الأخلاقي من خلال مشاركته الوجدانية مع الفاعل الحقيقي، وتماثله العاطفي من خلال الخيال، بحيث يضع نفسه في موقف الفاعل نفسه؛ من أجل الحكم على أفعاله، شريطة أن يتصف بالحياد وعدم الاكتراث، وفي هذه الحالة فقط إذا وافق على فعل الفاعل، فهذا يعني استحسانه، وإذا رفضه، فهذا يعني استهجانه.

ثانيا: تختلف طبيعة المراقب المحايد طبقًا لاختلاف آراء الفلاسفة حول هذا المفهوم؛ فبعضهم أضاف عليه هالة من القداسة وأعطاه بعضًا من صفات الألوهية، مثل "فيرث" و"هير"، وبعضهم جعله شخصية خيالية من خلق العقل وإبداعه، مثل "سميث"، ويرى بعضهم أنه شخصية طبيعية تتميز ببعض السمات التي تجعله مؤهلًا للحكم الأخلاقي، مثل "كارسون"، ويرى

123- Taliaferro, Charles: **"Relativising the Ideal Observer Theory"**, Op.Cit, p.129.

آخرون أنه شخصية طبيعية تمتلك ميلًا عاطفيًّا، فهو ليس مجردًا من العواطف والانفعالات، مثل "هاريسون"، ويرى "هيوم" أنه شخصية واقعية تتميز بالحيادية وعدم الاكتراث.

ثالثا: تتمثل وظيفة المراقب المحايد في إصدار الأحكام الأخلاقية على الأفعال الإنسانية؛ فالفعل الذي يوافق عليه المراقب المحايد هو فعل خير وصواب، والفعل الذي يرفضه هو فعل شر وخطأ؛ فحكم المراقب المحايد هو الذي يحدد خيرية الأفعال وشريتها.

رابعا: تكتسب الأفعال الأخلاقية جدارتها من خلال كيفيات معينة كامنة في طبيعة الفعل نفسه –طبقًا لوجهة نظر المثاليين–، أمَّا بالنسبة لفكرة المراقب المحايد؛ فإن الأفعال الأخلاقية تكتسب جدارتها من خلال استحسان المراقبين المحايدين إياها، وهذا بطبيعة الحال يفضي بنا إلى القول بعدم وجود أفعال تحمل قِيمة في ذاتها.

خامسا: يتميز أي مراقب محايد بعدة خصائص؛ منها: كلية العلم، والإدراك الكلي، وعدم الاهتمام أو عدم الاكتراث بالشيء المنظور، والحياد، والاتساق، والنزوح العاطفي، والقدرة على الخيال، والتماثل العاطفي.

سادسا: التماثل العاطفي خاصية مهمة وضرورية للمراقب المحايد؛ لأنها تعطينا تمثيلًا كافيًا للإحساس بمشاعر الآخرين، وهذه الأهمية لا تقل عن إدخال عنصر الخيال الذي من خلاله نستطيع تخيل أنفسنا مكان الآخرين في مواقفهم، من أجل إصدار حكم على أفعالهم؛ فالتماثل العاطفي والخيال خاصيتان مهمتان وضروريتان للمراقب المحايد.

سابعا: فكرة المراقب المحايد متناقضة مع نفسها؛ فإذا كان الهدف الأساس منها هو الخروج من مَأزِق الأنانية والتفكير بموضوعية في أثناء الحكم على الأفعال الأخلاقية؛ فإن تعدد المراقبين المحايدين يؤدي إلى اختلافهم حول

(ISSN : 2536 - 9555)

القضايا المطروحة، وردود أفعالهم لن تكون واحدة في كل الحالات؛ لأن الخلفيات الثقافية والأخلاقية ليست على درجة واحدة لدى المراقبين؛ لذلك فهذه الفكرة تعد فكرة ذاتية، وقد تفضي إلى نوع من النسبية؛ لأن ردود فعل المراقب [ص] قد تختلف عن ردود فعل المراقب [س] حول الحالة نفسها، إذا كان الأمر متعلقًا بالمشاركة الوجدانية؛ لأن درجة الأحاسيس والمشاعر مختلفة.

مصادر البحث ومراجعه

أولا: مصادر ومراجع باللغة الإنجليزية.

(1) Bourke, Vernon J: **"The Ethical Role of the Impartial Observer"**, The Journal of Religions Ethics, Blackwell Publishing: Vol.6, No.2, fall., 1978.

(2) Brandt, Richard B: **"The Definition of an Ideal Observer Theory In Ethics"**, Philosophy and Phenomenological Research, Brown University: Vol.15, No.3, Mar., 1955.

(3) Carrasco, Maria A: **"Hutcheson, Smith, and Utilitarianism"**, The Review of Metaphysics, Philosophy Education Society Inc.: Vol.64, No.3, March., 2011.

(4) Carson, L. Thomas: **The Status of Morality**, Philosophical Studies Series In Philosophy, Vol.31, 1st, Boston: D. Reidel Publishing Company, 1984.

(5) Chiovoloni, Margaret: **Firth and Hill; Two Dispositional Ethical Theories**, Degree of Master, University of North Carolina, Chapel Hill: ProQuest, 2006.

(6) Firth, Roderick: **"Ethical Absolutism and Ideal Observer"**, Philosophy and Phenomenological Research, Brown University: Vol.12, No.3, Mar., 1952.

(7) Frankena, William: **"Hutcheson's Moral Sense Theory"**, Journal of the History of Ideas, University of Pennsylvania Press: Vol.16, No.3, Jun., 1955.

(8) Gordon, M. Robert: **"Sympathy, Simulation, and the Impartial Spectator"**, Ethics, The University of Chicago Press: Vol.105, No.4, Jul., 1995.

(9) Hare, M. R: **Moral Thinking;** Its level, Method, and Point, 1st, New York: Oxford University Press Inc., 1981, p.44.

(10) Harman, Gilbert: **Moral A gent and Impartial Spectator**, 1st, University of Kansas: The Lindley Lecture, April, 18, 1986.

(11) Harrison, Jonathan: **"Some Comments on Professor Firth's Ideal Observer Theory**", Philosophy and Phenomenological Research, Brown University: Vol.17, No.2, Dec., 1956.

(12) Honderich, Ted (Ed by): **The Oxford Companion to Philosophy**, 1st, New York: Oxford University Press Inc., 1995.

(13) Hume, David: **A treatise of Hume Nature**, Ed by: David Fate Norton and Mary J. Norton, Volume 1, 1st, Oxford: Clarendon Press, 2007.

(14) Hutcheson, Francis: **An Inquiry into the Original of Our Ideas of Beauty and Virtue in Two Treatises**, Edited and Introduction: Wolfgang Leidhold, Indianapolis: Liberty Fund, Inc., 2004.

(15) Kennedy, Gavin: **Adam Smith, A Moral Philosopher and His Political Economy**, 1st, New York: Palgrave Macmillan, 2008.

(16) L. Charles and Jr. Griswold: **Adam Smith and The Virtues of Enlightenment**, 1st, Cambridge: Cambridge University Press, 1999.

(17) Liikkanen, Karri J: **Ideal Observer Theory**, Master's Thesis, University of Helsinki: ProQuest, August, 2013.

(18) Nelson, William H: **"Utilitarianism in Adam Smith's Theory of Moral Sentiments"**, In: http://citeseerx.ist.psu.edu/viewdoc/download?doi=10.1.1.492.1426&rep=rep1&type=pdf, In: 2-9-2016.

(19) Rankin, Nancy: **"A substantive Revision to Firth's Ideal Observer Theory"**, **Stance, An International**

(ISSN : 2536 - 9555)

Undergraduate Philosophy Journal: Volume 3, April, 2010.

(20) Raphael D. D: **The Impartial Spectator; Adam Smith's Moral Philosophy**, 1st, New York: Oxford University Press Inc., 2007.

(21) Smith, Adam: **The Theory of Moral Sentiments**, Ed by: Knud Haakonssen, 1st, Cambridge: Cambridge University Press, 2002.

(22) Smith, Craig: **"Peer Review and the Development of the Impartial Spectator"**, Econ Journal Watch, Fraser Institute: Vol.13, No.2, May., 2016.

(23) Sprague, Elmer: **"Francis Hutcheson and the Moral Sense"**, The Journal of Philosophy, Journal of Philosophy, Inc.: Vol.51, No.24, Nov., 25, 1954.

(24) Taliaferro, Charles: **"Relativising the Ideal Observer Theory"**, Philosophy and Phenomenological Research, Brown University: Vol.49, No.1, Sep., 1988.

(25) Weinstein, Jack Russell: **"Adam Smith (1273-1790)"**, In: **Internet Encyclopedia of Philosophy**, U.S.A: University of North Dakota, www.iep.utm.edu/smith. 15-9-2016.

ثانيا: مراجع باللغة العربية

(١) أحمد، محمود سيد: **الأخلاق بين العقل والوجدان**، ط١، الكويت: أفاق للنشر والتوزيع، ٢٠١١م.

(٢) شكري، فايزة أنور: **القيم الأخلاقية**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٨م.

(٣) ـــ: **مشكلات فلسفية**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠١م.

(٤) صليبا، جميل: **المعجم الفلسفي**، جـ ٢، ط١، بيروت & لبنان: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م.

(٥) هاشمي، محمد: **نظرية العدالة عند جون رولز "نحو تعاقد اجتماعي مغاير"**، ط١، المغرب: دار توبقال، ٢٠١٤م.

(٦) هير، ريتشارد: **الحرية والفكر**، ترجمة: يوسف ميخائيل أسعد، القاهرة: دار النهضة العربية، د.ت.